



ف ل ل
كلية الآداب واللغات
faculty of Letters and Languages
RELIZANE UNIVERSITY

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
جامعة غليزان
Université de Relizane

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

التخصص: نقد ودراسات أدبية

القضية الفلسطينية

في رواية زمن الخيول البيضاء "لإبراهيم نصر الله"

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة ليسانس

إشراف الدكتور:

د. سنوسي خبراج

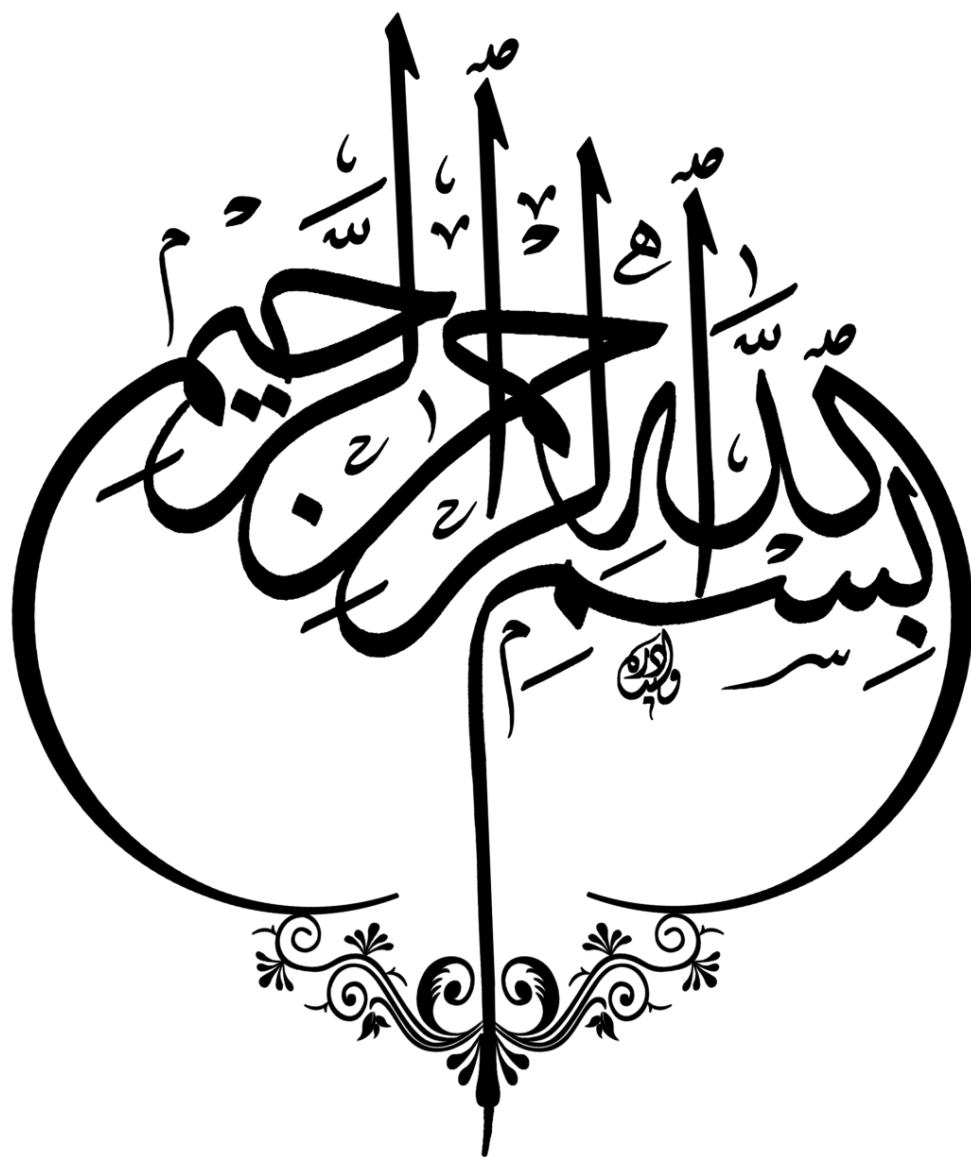
إعداد الطالبين:

بالعربي ليلي
سالم أمينة

السنة الجامعية:

1445/1444 هـ

2024 - 2023 م





شكر وتقدير

لابد لنا ونحن نخطو خطواتنا الاخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود الى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع اساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الامة من جديد... وقبل أن نغضي نقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والمحبة الى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة ... الى الذين مهدوا لنا طريق العلم و المعرفة... الى جميع اساتذتنا الأفاضل...
"كن عالما فإن لم تستطع فكن معلما، فإن لم تستطع فأحب العلماء، وأخص بالشكر و التقدير الدكتور الذي نقول له بشراك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
"أن الحوت في البحر، والطير في السماء، ليصلون على معلم الناس الخير"

أما الشكر الذي من النوع الخاص فنحن نتوجه بالشكر أيضا الى كل من لم يقف الى جانبنا، ووقف في طريقنا وحاول عرقلة مشوارنا الدراسي وزرع الشوك في طريقنا نقول لهم شكرا لكم فلولاكم لما وصلنا الى ما وصلنا اليه اليوم





اهداء

- إلى أبوي الطاهرين الذين كانا سببا في وجودي واجتهدا في تربيتي وتعليمي وتمنيا على الله أن أكون لهما في الدنيا ذكرا وفي الآخرة نخل ﴿رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ (الإسراء 24))
- إلى شهداء فلسطين الذين قالوا لهم أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وفتزادهم إيمانا وقالوا حسبي الله ونعم الوكيل
- إلى كل أفراد أسرتي الذين تحملوا الكثير من المعاناة وصبروا عليا حتى تحقيق غايتي ونجل مرادي.
- كما أرفع معاني الشكر والتقدير إلى من كان سندنا لنا أستاذنا " سنوسي خراج " جزاه الله خيرا.
- ويبقى لي أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من مد يد العون والمساعدة من قريب أو بعيد.

الطالبة: بالعري ليلي



إهداء

إلى من لا يضاهيها أحد في الكون, إلى من أمرنا الله ببرهما, إلى من بذلا الكثير, وقدّما ما لا يمكن أن يرد, إليكما تلك الكلمات أُمي وأبي الغاليات .

لقد وصلت إلى هذا الإنجاز العظيم بفضل دعمكما الذي لم ينقطع لحظة واحدة, وبجهدتي الشخصية التي دفعتمني للعمل بجدية والتفاني في دراستي, وأنا الآن أهدي هذا الإنجاز الذي حققته لكما يا أبي وأُمي فأنتما الأهم والأعظم في حياتي.

كما أهدي تحياتي الى استاذ المشرف "خبراج سنوسي" على وقوفه معنا ونصائحه .

سالم أمينة

مقدمة

تستأثر الرواية العربية الفلسطينية، الصادرة بعد النكبة خاصة، بموقع مميز بين مجمل النتاج الروائي العربي، ليس بسبب توجه أكثرها إلى قضية الصراع مع مغتصبي الأرض الفلسطينية فحسب، بل بسبب كفاءتها أيضاً في إعادة إنتاج هذا الصراع بأدوات فنية متقدمة جمالياً، وقلما تبدو حاضرة في الرواية العربية المعنية بالصراع نفسه، على تعدد أقطار الأخيرة، واختلاف اتجاهاتها الفنية، وتنوع رؤاها، "زمن الخيول البيضاء"، الرواية التي نسجها قلم الكاتب إبراهيم نصر الله، نرى تجسيداً جدياً لهذه القضية المعقدة والمتقلبة بالتحديات والآمال، لفهم جذور هذه القضية وتطوراتها، يجب أن ننظر إلى الأرض التي تحمل في جنباتها حكاية شعب بأكملها. ففي عقود الزمن، تبوأ فلسطين مكانة خاصة في قلوب الكثيرين، ليس فقط كأرض جغرافية، بل كموطن لشعب مرابط في وجه التحديات والظلم. إن تاريخ فلسطين مشرق بالمقاومة والصمود، وملئ بالصراعات التي ترسم خريطة طريق لحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية.

منذ القرن التاسع عشر، ومع بروز حركة الصهيونية، بدأت القضية الفلسطينية تأخذ شكلها الحديث.

تعكس رواية "زمن الخيول البيضاء" بأسلوبها الشعري الجذاب، هذه الحقبة المضطربة من تاريخ فلسطين. إنها قصة تحكي عن الألم والأمل، وعن العزيمة الفولاذية التي يتحلى بها الفلسطينيون في وجه التحديات المستمرة. في هذه الرواية، نرى بوضوح عمق الروابط الثقافية والتاريخية التي تجمع بين شعب فلسطين

وأرضهم، ونفهم بشكل أكبر الصراع الشخصي والجماعي الذي يعانيه هؤلاء الأشخاص في سعيهم للبقاء والتمسك بحقوقهم المشروعة.

ومن هذا المنطلق نطرح الاشكالية التالية: " كيف تعكس رواية 'زمن الخيول البيضاء' تجربة الفلسطينيين وتأثير الصراع الإسرائيلي الفلسطيني على حياتهم وهويتهم؟"

التساؤلات الفرعية:

- كيف ساهمت الرواية الفلسطينية في نقل الوقائع التاريخية والحالية التي كان يعيشها الفلسطينيون في ظل الكيان الصهيوني؟

- كيف أثرت القضية الفلسطينية في تشكيل الرواية العربية؟

- هل كان لرواية نصر الله انعكاس في تجربته الروائية على الصراع بين الفلسطينيين والصهاينة؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات كان المنهج المعتمد هو **المنهج الوصفي** باعتماد آلية التحليل مع الاستعانة أحيانا بآليات **المنهج التاريخي**.

أهمية دراسة الموضوع:

1. تحليل المفاهيم والرموز-تأثير الثقافة والأدب-إشراك القراء والطلاب :يمكن استخدام الكتاب كمرجع تعليمي في الجامعات والمدارس لفهم الصراع الفلسطيني وتحليله بشكل أكثر اعتمادًا على البحوث والتحليلات العلمية

أسباب دراسة الموضوع:

وتنقسم الى:

1-ذاتية: يمكن لدراسة الصراع الفلسطيني أن تساعد الأفراد في تعزيز فهمهم للهوية الثقافية الفلسطينية والعربية بشكل عام. قد يشعر الأفراد من الخلفية العربية بالتعاطف والانتماء إلى قضية الشعب الفلسطيني وتعزيز وعيهم بالتاريخ والثقافة الفلسطينية.

1-موضوعية: يعتبر الصراع الفلسطيني جزءًا من الصراعات الإقليمية والدولية التي تشهدها الشرق الأوسط. دراسة هذا الصراع توفر فهمًا عميقًا لديناويات الصراعات في المنطقة، بما في ذلك العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية التي تلعب دورًا في تشكيلها وتطورها.

أهداف دراسة الموضوع

3. تحليل الأبعاد السياسية والاجتماعية: تعمل دراسة القضية الفلسطينية على فتح النقاش حول العوامل

السياسية والاجتماعية التي تؤثر على الصراع.

4. تعزيز الوعي الدولي والحوار الثقافي: يمكن لدراسة الصراع الفلسطيني أن تسهم في زيادة الوعي الدولي

بالقضية وتعزيز الحوار الثقافي والسياسي بين الشعوب والدول. هذا يمكن أن يسهم في تحفيز جهود

السلام والتفاهم الدولي في المستقبل

خطة مذكرة

في بحثنا اعتمدنا على خطة لتسهيل دراسته وهي: مقدمة، مدخل، فصلين، خاتمة

مقدمة

المدخل وهو تحت عنوان مفاهيم أساسية لرواية

الفصل الاول: المعنون بـ "القضية الفلسطينية في الرواية العربية" حيث تطرقنا فيه اولاً: مراحل تسريد

القضية في الرواية العربية، وثانياً: أبعاد القضية الفلسطينية في الرواية العربية.

الفصل الثاني: تحت عنوان "فلسطين في رواية "زمن الخيول البيضاء" لصنع الله ابراهيم، تناولنا في هذا الفصل، بنية الشخصيات في الرواية، صورة المرأة في رواية، صورة الطفل في رواية، الاخر اليهودي في رواية.

اما الخاتمة: فقمنا بطرح استنتاجات ونتائج التي توصلنا اليها من خلال دراستنا لموضوع بحثنا.

وفي الاخير نتقدم بالشكر إلى الأستاذ المشرف، وكلّ من ساعدنا في هذه الرحلة المعرفية. التي تكللت بهذه النتائج. راجين أن نكون قد وُفّقنا في ذلك والحمد لله أولاً وأخيراً.

مدخل الى الدراسة

1_ مفهوم الرواية

2_ تطور الرواية العربية

3_ نشأة الرواية الفلسطينية

1-تعريف الرواية:

أ- لغة: ورد في لسان العرب عن ابن سيد هفي معتل الياء روى من الماء بالكسر ومن اللبن يروي ربا، ويقال للناقة الغريزة تروى الصبي لأنه لا ينام أول الليل...، والرواية المزايدة فيها الماء، ويسمى البعير رواية على تسمية الشيء باسم غيره لقربه منه، والرواية أيضا البعير أو البغل أو الحمار الذي يسقى عليه الماء والرجل المستقي أيضا رواية، ويقال روى فلان فلانا شعرا إذا رواه له متى حفظه للرواية عنه.

قال الجوهري: رويت الحديث و الشعر رواية فأنا را وفي الماء و الشعر من قوم رواة, و رويته الشعر ترويه أي حملته على روايته وأرويته أيضا, وتقول: أشد القصيدة يا هذا ولا تقول اروها إلا أن تأمر بروايتها أي باستظهارها.¹

إن المدلولات المشتركة للرواية تفيد في مجموعها عملية الانتقال و الجريان و الارتواء المادي "الماء" أو الروحي "النصوص و الأخبار" وكلا النوعين كانا ذا أهمية بالغة في حياة العربي إذ كان الماء هدفهم المنشود الذي ارتحلوا لأجله و كانت الرواية و الشعر الضرورة اللازمة لكل شاعر, كما كانت الرواية الوسيلة الأولى لحفظ الأشعار و الأخبار و السير.²

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ط1، بيروت، 1990، (مادة روى).

² صالح مفقودة، نشأة الرواية العربية في الجزائر، مجلة المخبر، عدد14، 2011.

ويقال أيضا: (روى: شرب وشبع ويقال روى في الشجر والنبات تنعم فهو ريان وهي ريا جمع وراء منه الرواية القصة الطويلة محدثة).¹

ب- اصطلاحا:

تتخذ الرواية لنفسها ألف وجه و ترتدي في هيئتها ألف رداء و تشكل أمام القارئ تحت ألف شكل مما يعسر تعريفها تعريفا جامعاً مانعاً يوضح لنا ماهية الرواية, لذلك فقد اخترنا مجموعة من التعاريف المهمة التي تقربنا من جنس الرواية:

يعرفها قوت " Goethe Johann Wolfgang " الرواية ملحمة ذاتية تتيح للمؤلف أن يلتمس من خلالها معالجة الكون بطريقته الخاصة! ولكن يمكن إلقاء سؤال يتجسد في معرفة ما إذا كان له حقا طريقة ما؟ وماعدا ذلك مجرد فضول.

إلا إذا أنه اعتبرنا الرواية ملحمة مال بنا الوهم إلى السيرة الذاتية أو أي عمل أدبي سردي مرتبط بالذات و الحال أن الكاتب الروائي يفترض في عمله أن يكون من بنات الخيال و من فلذات القريحة.²

ونجد جورج لوكات "Georg Lukas" يقدم الرواية على أنها الشكل الأدبي الرئيسي لعالم لم يعد فيه الإنسان إلى وطنه ولا مغتربا كل الاغتراب، فلكي يكون هناك أدب ملحمي –والرواية شكل ملحمي-

¹ ابراهيم مصطفى و اخرون, معجم الوسيط, مجلة الشروق الدولية, ط4, مصر, 2004, ص 384.

² عبد الملك مرتاض, في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد, عالم المعرفة, د ط, الكويت, 1998, ص13.

لا بد من وجود وحدة أساسية ولا بد لكي تكون هناك رواية لا بد من وجود تعارض نهائي بين الإنسان والعلم وبين الفرد والمجتمع.

فقد ربط بين تلك البنية والأوضاع التاريخية التي ظهرت فيها وتطورت داخلها واستخلص عناصر الرواية على النحو التالي:

- السخرية: وهي انشطار الشخصية الواصفة و المبدعة إلى ذاتين داخلية و أخرى تدرك الطابع التجديد لدى المحدود.
- السيرة الذاتية: تتضمن أساس العالم الروائي ولا تمتلك سمتها إلا من علاقة الفرد بعالم مثالي يتجاوزه.
- السيورة: سيرة الفرد الإشكالي نحو ذاته للتعرف عليها بوضوح وهي تشكل مضمون العمل الروائي.
- البداية والنهاية: تدل الرواية على قطاع الحياة الذي تصوره وتعتبره أساسا دون ما يسبقه أو يتلوّه.¹ وهناك تعريفات أخرى للرواية فمثلا كون ستاتين فيدين "Konstantin Vidin" يتحدث عن الرواية قائلا (لا يوجد في الأدب ضرب يستطيع أن يشمل الروح الإنسانية بهذا الشكل اللانهائي من وجود الإنسان وفي مثل هذا الشمول كالرواية).²

إبراهيم عباس, تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية, دراسة بنية الشكل, منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر, 2002, ص14.

² عبد الرزاق حسين, فن النثر المتجدد, دال المعالم الثقافية لنشر والتوزيع, ط1, القاهرة, 1998, ص83.

— وأيا كان الشأن فإن أي رواية لا ينبغي لها أن تتصف بمجرد مادتها ولكن يجب أن تتميز بخصوصية فنية تجعل منها شكلا سردجا فريدا أي شكلا قائما على بداية ووسط ونهاية ولا هذا التعريف الذي جاء به فولكان القيصر " Céara Follain " مما يستقيم أيضا، إذا كيف تعرف الرواية بقيامها على البداية والوسط والنهاية، مع أن كل شيء في الدنيا يقوم على بداية ووسط ونهاية.

إن أي كاتب روائي يجب أن ينشئ عالمه الخاص، و هذا العالم ينشأ لديه عبر كتاباته و سواء انصرف الأمر إلى وصف لظاهرة تقنية أو لوضع اجتماعي أو لحركات داخلية فإن الرواية ليست كما يزعم قيصر نتاجا على وجه الإطلاق و لكنها إبداع.¹

ويرى ميشال زرافا (M. Erafra) أن الرواية تبدو في المستوى الأول عبارة عن جنس سردي نثري بينما يبدو هذا السرد في المستوى الثاني حكاية خيالية.²

ويرى لوشيان ولدلمان " Lucien Goldman " الرواية على أنها عبارة عن (قصة بحث عن قيم أصيلة في عالم منحط يقوم به فرد منحط).³

والقيم الأصيلة هنا لم تعد تلك الكلمة الخلقية العامة، وإنما أصبحت عن ولدلمان قيم الاستعمال التي تحترم الشيء لذاته في مقابل القيم المنحطة أي قيم التبادل التي لا تقدر الشيء إلا بما يساويه من مال، وهي القيم التي يقوم عليها المجتمع الرأسمالي من حيث قانون العرض والطلب.

¹ عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص 13,14.

² المرجع نفسه، ص 14.

³ سيد مجراوي، علم اجتماع الأدب، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 1992، ص 23.

وعلى غرار هذا يقدم ولدما ن وصفا تحليليا للرواية قائلا: (الرواية قصد بحث عن قيم أصيلة بصيغة متدهورة وفي مجتمع متدهور، ويتجلى هذا التدهور أساسا وبخصوص البطل في الوساطة وفي اختزال القيم الأصلية إلى المستوى الضمني ثم اندثارها باعتبارها حقائق أكيدة).¹

وهناك الكثير من التعاريف الغربية التي تدور حول الرواية ودلالاتها وما تجدر الإشارة إليه أن الرواية في أوروبا جنسا أدبيا مهما مشا، وخطابا سردجا منحطا لا قيمة له، يقبل عليه الشباب من أجل الاستمتاع والترفيه بعيدا عن حياة الجد والصرامة التي كانت تفرضها الأسر الأوروبية على الأولاد، حيث كانت الأسر الأوروبية تحذر أبنائها من قراءة الروايات، ضف إلى ذلك موقف الكنيسة من الرواية، ذلك أن الرواية ذلك أن الرواية ارتبطت باللهو والمجون والغرام والتسلية والفكاهة وغيرها...

و نجد أن مفهوم الرواية قد اكتمل منذ ظهور الواقعيين الذين خلصوها من عالم الغيبي ومن الدوران حول العالم المثالي و المجتمع الارستقراطي, يقول سان ريال " Saint Real " "الرواية مرآة المجتمع".

و قد اعتبر هذا الاخير الرواية حقلا من التجارب الواسع فيه مجال كل الاشكال العبقريّة وكل الطرق أنّها حملة المستقبل وهي بكل تأكيد الوحيدة التي ستحملها سير الأفراد و الجماعات الحديثة من اليوم.²

أما الأدباء العرب فقد كانوا إلى سنة 1930 يصطنعون مصطلح (رواية) لجنس المسرحية، كما يلاحظ ذلك في كتابات عبد العزيز البشيرين الذي نجده يقول: (واخيرا تقدم (...) أحمد شوقي فنظم روايتين

¹كولدما ن وآخرون ، الرواية و الواقع، ترجمة: رشيد بن جدو، دار قرطبة للنشر، ط1، 1988، ص15.

²محمد السيد أحمد، الرواية الإنسانية وتأثيرها عند الروائيين العرب، المؤسسة الوطنية لكتاب، الجزائر، 1989، ص34.

كليوباترا وعنترة"، وكذلك كرر البشيرين لفظ (الرواية) بمفهوم المسرحية ست مرات في مقالة أدبية كان قد

نشرها بالقاهرة وكان الشيخ إذا أراد إلى مفهوم القصة قال مثلاً: "رواية قصصية".¹

و لقد ظل المصطلح شائعاً بين الأدباء الجزائريين أيضاً إلى عام أربعة و خمسين تسعمائة و ألف

(1954) حيث كانوا يطلقون على كل مسرحية مصطلح (رواية)، حيث أطلق محمد رضا حوحو على

أول رواية جزائرية له و هي "غادة أم القرى" مصطلح قصة و استراح.²

أما معجم المصطلحات الأدبية لفتحي إبراهيم فقد جاء فيه أن الرواية (سرد قصصي نثري يصور

بشخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث و المشاهد و الرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه

العصور الكلاسيكية و الوسطى نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية وما صاحبها من تحرر

من ربكة التبعية الشخصية).³

ويعرف الناقد محمد غنيمي هلال الرواية بقوله: "القصة كالحكاية معقدة متعددة حكاية ممتدة المعالم

وقصد المؤلف فيها إلى حكاية الفشل أو النجاح، أقل ما قصده إلى عرض مناظر وتحميل شخصيات

ترمي إلى هدف واحد يتصل بحال الإنسان في موقف خاص، كما يحيط به من بؤس، وما يتوعدده من

¹ عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص23.

² عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص23.

³ صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، منشورات مخبر الأبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ص05.

أخطار كما يمكن أن يواجه بما لديه من وسائل وبما منح من إرادة ويتكشف هذا كله عن فكرة كبيرة وهي بيان موقف إنساني يكون فيه جهد الإنسان ذا معنى¹.

و عليه فإن الرواية إذن قصة مكتملة العناصر، متعددة الفصول ممتدة في الزمان و المكان، ضرورة وجود عناصر الزمان، بل إن الأديب وحده و من خلال مهاراته الفنية في بناء روايته يستطيع أن يعالج أي قضية تاريخية كانت أو اجتماعية أو نفسية ، باعتبارها عالما شديدا التعقيد متناهي التركيب متداخل الفصول، إنها ابنة الملحة والشعر و الأدب الشفوي ذي الطبيعة السردية.

و مع تعدد التعاريف حكى الرواية و مفهومها إلا أن معظمها بل جميعها تصب في قالب واحد وهي أن الرواية سرد للأحداث والقصص الخيالية الطويلة تضم الكثير من الشخصيات وهي الأكثر انتشارا و شهرة و أحسن و أجمل فنون الأدب النثري، تتميز بالتشويق في الأمور و القضايا المختلفة سواء أكانت أخلاقية، اجتماعية أو فلسفية.

و بتعريف آخر للرواية (هي نوع من أنواع السرد القصصي تحتوي على العديد من الشخصيات، لكل منها اختلاجاتها و تداخلاتها و انفعالاتها الخاصة، و تعتبر الرواية من أجمل أنواع الأدب النثري وتمثل أيضا النوع الأحدث بين أنواع القصة الأكثر تطورا و تغييرا في الشكل و المضمون بحكم حداثة و صلته بالرواية)².

¹ عبد الرزاق حسين، فن النثر المتجدد، ص 84.

² عمار بن طوبال ، الرواية الجزائرية المعاصرة ومحاولة تحديد منهجي، مجلة المثقف، عدد (14)، 2009.

وهذا ما ينطبق على الرواية الجزائرية من حيث حداثة النشأة، إذ كما هو معروف أن عمرها لا يتجاوز النصف قرن، وذلك إذا اعتمدنا على الافتراض القائل بأن أول نص روائي مكتوب باللغة العربية ويحمل كل المواصفات الفنية المتعارف عليها هو رواية: (ريح الجنوب) لعبد الحميد بن هدوجه (1971).

و قد مثلت الرواية العربية الجزائرية مرجعية معرفية لمختلف التحولات الاجتماعية التي عرفت الجزائر من خلال تناولها لمواضيع عديدة، كمواضيع الثورة أولا_ الذي هو موضوع بحثنا_ و قضايا ما بعد الاستقلال ثانيا، لتظل في حراك بالواقع.

إذن فالرواية العربية الجزائرية سواء في بدايتها أو عبر مسارها التحولي انحصرت ضمن إطار واقعي حاولت من خلاله إظهار انتمائها لهذا الواقع الذي يعد الروائي جزءا منه على اعتبار أن المرجعية التي يستند إليها في كتاباته هي مرجعية واقعية نابعة من تفاعله و معاشته للبيئة التي يعيش فيها.

2_ تطور الرواية العربية:

تشهد العقود الأخيرة منذ السبعينيات بالخصوص زيادة كبيرة في الإنتاج الروائي في الوطن العربي، فأخذت الرواية تحتل موقعها مقابل الأجناس الأدبية الأخرى من حيث الإنتاج و القراءة، لتصير كأنها النوع الأدبي الأكثر تداولاً ، و الذي لم يثر الاهتمام النقدي و الدراسة التحليلية الكافيين على الرغم من أن الرواية صنعت لنفسها التحولات الفنية بانتقالها من مرحلة لأخرى تجاه التحرر من الشكل السردى التقليدي الموروث من الرواية الأوروبية في القرن التاسع عشر و بداية من القرن العشرين ، فدخلت الرواية العربية مرحلة الانبعاث و تكوين أشكال فنية جديدة مرتبطة بحركة الواقع الاجتماعي و تطورات العصر

فمنذ رواية " زينب " لحسن هيكل 1914 أو حتى من أشكال تراثية مثل " ألف ليلة و ليلة " أو الروايات الشعبية منذ ازمة أبعء ، حتى و إن لم نأخذ العامل التاريخي ، فإن ولادة الرواية العربية محل دراسة و نقاش و خصوصا حول بداية تشكل الرواية العربية المستقلة عن النموذج السردى الأوربي. إلا أن الأمر البديهي هو الوجود الفعلي لها ، بل إنها بلغت مرحلة الفوران و هي تطرح الجديد على المهتمين بالبحث و الدراسة، كما أنها صارت الفن الأكثر احتواء لحركة الصراعات الاجتماعية (شخصية و طبقية) و السياسية و الثقافية في المفاهيم و المواقف بمختلف الأشكال و الصور ، و بذلك وافق اتجاه حركة الرواية اتجاه التحرر الوطني و الاجتماعى¹.

و الرواية لا تحمل جديدا إلى فنها إلا إذا انبثقت من نزعة عميقة إلى التحرر ، و ارتباط وثيق بحركة الصراع و التغيير التحرري، وهذا يقوي حقيقة التفاعل بين حركة الواقع الاجتماعى و الحركة الروائية ، فيتأكد الحضور الصارخ للصراعات الاجتماعية في العمق الروائي و تشكل ذاته الفنية وفقا لتقنية متميزة "لا تستلهم الماضي في ماضيه و إنما تعيد تأسيس الموروث الأدبي في وجهة نظر الصراع في الحاضر" و ذلك في ظل المبادئ الإنسانية من أجل الدعوة إلى الحرية و العدالة. ومن ثمة أخذت الرواية العربية خصوصياتها في اعتمادها في تشكيل كيانها على التراث العربى و الواقع

¹ مريم محمد عبد الله وأمم: تحريشي محمد، حداثه مفهوم المكان في الرواية العربية رواية " وراء السرب قليلا" لإبراهيم درغوثي أنموذج، مجلة الدراسات، جامعة طاهري محمد بشار، جوان 2016، ص 143.

الذي يعيشه المجتمع العربي و الذي فرض نفسه بكل قوة على المبدعين في استخدام اللغة التي يقتديها هذا الواقع¹.

إذ كان الاعتماد على واقع الإنسان العربي زمانا و مكانا مما رسم آفاق الرؤية الروائية المشبعة بالاتجاهات الاجتماعية و التيارات و المذاهب الأدبية و الفلسفية ، و إن كان البعد قد سلك مسلك التقليد الأعمى للغرب شكلا و مضمونا.

فشق الكثير من الأدباء العرب طريق الإبداع الروائي فتعددت الروايات العربية في مختلف الأقطار و عالجت مختلف قضايا الشعوب العربية تاريخية كانت أو اجتماعية أو سياسية أو ثقافية حيث كانت الساحة العربية من أخصب ميادين الإبداع في هذا الفن، مستمدة مادتها الخام من واقع المنطقة التاريخي و وضعها الاجتماعي ونضال أهلها التحرري، وإن كانت الرواية فيها قصيرة العمر كما في بلدان المغرب العربي ، مقارنة ببلدان المشرق العربي، حيث لم تطرح الرواية نفسها في الساحة الأدبية العربية بالثقل المطلوب إلا في النصف الثاني من القرن العشرين .

فمثلا رواية وراء السراب قليلا لإبراهيم درغوثي، والتي يظهر فيها جليا تطور جمالية المكان وعلاقته بمكوناتها الأخرى والتي تنقلنا من خلال تعامل كاتبها مع عالين أحدهما واقعي والآخر أسطوري وكثرة

¹ مزين محمد عبد الله وأمم: تحريشي محمد، نفس المرجع، ص 143-144.

شخصها وتعدد فصولها لكل منها اسمه في بناء ولغة يمنحها التدفق والحياة كعمل روائي حديث يحمل من الجودة ما يثير الاهتمام والبحث كما في باقي الروايات العربية الجديدة.¹

فإذا كانت الروايات العربية عموماً الابنة الشرعية للحكاية، فهي تختلف عنها في الأسلوب واللغة والقصد، فهي شكل وبناء فني مبدع بإرادة فردية عكس الحكاية المنقولة برغبة اجتماعية في التعلم وحفظ الموروث.

إن الرواية عمارة إبداعية بتصميم هندسي يخضع لقوانين خاصة يلعب فيها الزمن دور المدخل الذي تفهم منه عمارة الرواية الفنية "فتعكس صورة تعبيرية لفلسفة قائمة ومعروفة". مع أنها تبقى فنا لا يخضع للمقاييس الفلسفية الصارمة، حيث يتضح تماسك نسيجها من وضوح أفكارها وأهدافها، فهي بحاجة إلى تصميم مسبق نابع من فكرة مستمدة من الموروث الفكري الفلسفي حيث يبرز كبار الروائيين من أوساط الصراعات النفسية والإيديولوجية بينما ينبثق الشعراء من المجتمعات البسيطة والبدوية، فتكون الرواية أقرب للفكر والفلسفة منها إلى اللغة الشعرية.

فهي تعمل على تعميق الفكر بلغة خاصة، وتكشف عن فلسفة كاتبها، مما يدعم البناء الفني للرواية ويسهل نقل أفكار الكاتب إلى القارئ، فهناك علاقة بين الواقع الاجتماعي والعمل الروائي أقرها الوقائع والدراسات النقدية، مع وجود دور كبير للحياة الاجتماعية في تبلور العمل الروائي كالظروف الاجتماعية والتجارب الشخصية لكل كاتب " وفترات الاستعمار " والذكريات التي يمر بها الفرد والمجتمع والتحولات

¹ مريم محمد عبد الله وأمم: تحريشي محمد، نفس المرجع، ص 144.

الاجتماعية التي تطرأ عليها.

فتساعد تناقضات المشهد الاجتماعي وتقلباته الطبيعية كانت أو شاذة . بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

على تجسيد اللون الروائي و تحديد شكله ورسم خطوط هيكله الرئيسية¹.

حيث يعطي الإحباط والفشل الاجتماعي نمطا من الروايات الواقعية أو الرومانسية المبنية على الأمل

والبحث عن البطولة أو روايات تاريخية تستند على الماضي، بينما يولد الاضطهاد السياسي وغضب

الأرض والمكان المشاهد الرمزية في الرواية، مع خضوع هذه المؤثرات لسيطرة الكاتب الذي يكون شاهدا

على العصر أو واصفا أو مؤرخا لأحداثه أو محددًا لمعالم مستقبل الواقع الاجتماعي من خلال علاقتها

بالمجتمع ، وبذلك تعالج الرواية موضوعا أو أكثر في حياة شخص أو جماعة ، مما يسهل على المتلقي

الإلمام بجوانب حياة البطل وشخص الرواية و ما تعج به من أحداث على مدى الزمن والمكان الروائيين

2 .

3 _نشأة الرواية العربية الفلسطينية:

لم تكن الطباعة في الوطن العربي فعلاً ثورياً يكسر احتكار الثقافة التي كانت وقفاً على أبناء الفئات

الميسورة فحسب، بل كان في الوقت نفسه إيذاناً بظهور فن تثقيفي جديد لم يعرفه العرب من قبل، أي:

الصحافة، التي نهضت، مع بحواكيرها الأولى، بدور مهم على المستويين السياسي والثقافي، في مرحلة من

¹ مريم محمد عبد الله وأمم: تحريشي محمد، نفس المرجع السابق، ص 145.

² مريم محمد عبد الله وأمم: تحريشي محمد، نفس المرجع، ص 145-146.

أشد مراحل التاريخ العربي الحديث غلياناً. فعلى المستوى السياسي بنت جسراً معرفياً بين العربي وواقع أمته السياسي، واستطاعت، على المستوى الثقافي، أن تعرفه إلى فنون أدبية جديدة.

وقد احتضنت الصحافة العربية، الصادرة أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، البذور الأولى لفني القصة القصيرة والرواية، اللذين تعرف القارئ العربي إليهما عن طريق الترجمة من آثار الغرب الأدبية. ومع أن تلك الترجمات كانت تعاني، ولا سيما في المرحلة الأولى منها، مجموعة من العيوب والأخطاء، إلا أنها سرعان ما لقيت قبولاً وانتشاراً واسعاً بين جماهير القراء، ومهدت، في الوقت نفسه، لظهور قصة قصيرة ورواية موضوعتين .

نشأت الرواية العربية الفلسطينية، شأن مثيلاتها في أقطار الوطن العربي الأخرى، في أحضان الصحافة، وعبر الترجمة التي كانت مزدهرة إلى حد كبير في ذلك الجزء من الجغرافية العربية، فلسطين. بسبب تعرضه للغزو الأجنبي المتعدد الأشكال والجنسيات، وبسبب الإرساليات التبشيرية الكثيرة التي عرفت الأدباء الفلسطينيين إلى ثقافات شعوبها، وفتحت أعينهم على روافد جديدة لأدبهم آنذاك¹.

وعلى الرغم من أن ترجمات خليل بيد، الذي يعد من أوائل الرواد في هذا المجال، لم تكن وافية للنصوص الروائية كما هي في الأصل، فإنها نهضت بمهمة الكشف المبكر عن الدور الذي يؤديه فن الرواية في الحياة والمجتمع².

¹ د. نضال صالح، نشيد الزيتون - قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية - دراسة -، منشورات لاتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص16.

² د. نضال صالح، نفس المرجع السابق، ص16.

وتجدر الإشارة هنا إلى جهود: أحمد شاعر الكرمي، وجميل البحري، ونجاة صدقي، التي اتسمت جميعاً، كترجمات بيد، بتصرف أصحابها "في النصوص المترجمة على هواهم، بالزيادة والنقصان، والحذف والتغيير، وأحياناً إدخال الأبيات الشعرية"،¹ وبحفاوتهم الواضحة برواية المغامرات العاطفية والبوليسية خاصة. ومهما يكن من أمر الخلاف بين مؤرخي الأدب الفلسطيني الحديث حول أول رواية عربية فلسطينية موضوعة، أي أن رواية يوحنا دكرت: "ظلم الوالدين" (1920م) هي "أول رواية عربية فلسطينية"²، أو أن رواية خليل بيد: "الوارث" (1920م) هي "أول رواية فلسطينية أي أكان الخلاف حول مستواها الفني"³، فإن هاتين الروائيتين لم تكونا الوحيدتين اللتين صدرتا سنة ،

(1920م) بل ثمة رواية ثالثة لإسكندر الخوري بعنوان: "الحياة بعد الموت"، وتلك الروايات الثلاث لم يتيسر لأحد من الدارسين الاطلاع عليها سوى ما علق بذاكرة قرائها الأوائل. وغير خاف أن الذاكرة لا تكفي وحدها للجزم بأولية إحداها على الآخرين، زمنياً ومستوى فنياً.

وعامة، فإن المحاولات الروائية التي صدرت بين عامي 1920م و، 1943م التي لم تلق حظاً من

الدرس النقدي، بسبب عدم توفرها في المكتبة العربية من جهة، وبسبب عدم وجود كتابات نقدية عنها في مرحلة صدورها أو ما بعدها من جهة ثانية.

وباستثناء رواية محمد عزة دروزة: "الملاك والسمسار" الصادرة سنة ، 1934م تصف وسائل الصهيونية

¹ أبو مطر، د. أحمد، الرواية في الأدب الفلسطيني، ص 27.

² ياغي، عبد الرحمن ، في الادب الفلسطيني الحديث ، ص 63.

³ أبو مطر، د. أحمد، نفس المرجع، ص 49.

لإغراء الفلاحين الفلسطينيين، الملاك منهم، لبيع أراضيهم للمنظمات الصهيونية"¹، فإن الدراسات التي تناولت بواكير النتاج الروائي الفلسطيني اكتفت بالإشارة إلى عناوين تلك المحاولات، وإلى أسماء مؤلفيها، وسني صدورها من غير أن تتعرض لموضوعاتها، أو لمستواها الفني.

وتشكل "مذكرات دجاجة"، 1943م للدكتور إسحق موسى الحسيني، منعطفاً مهماً في تاريخ الرواية الفلسطينية، حسب فاروق وادي، بوصفها "النص الروائي الوحيد، من أعمال تلك المرحلة، الذي حقق رواجاً استثنائياً وقت صدوره"². ولعل من أبرز ما ميز تلك الرواية معالجتها، بأسلوب رمزي، الواقع الفلسطيني في المرحلة التي شهدت فيها البلاد تدفق الهجرات الصهيونية، فهي تسرد يوميات دجاجة تتعرض، مع أترابها، بعد موت مالكهن الجديد لمتاعب كثيرة.

ومهما يكن صحيحاً أن الحسيني "لجأ.. إلى هذا الأسلوب لعدم تمكنه من إيضاح الحقائق التي يعيشها وطنه"³، فإن الأكثر صحة أن مقولات دجاجته تلك لم تكن تمثل أي تنظيم، أو فئة، أو جماعة، في الأربعينات التي كانت تشهد مداً ملحوظاً ومتعاضداً في مقاومة الأطماع الصهيونية في أرض فلسطين. وبهذا المعنى، فإن المذكرات تمثل وعياً شائهاً بالمرحلة التاريخية التي ترصدها، وهي، بالإضافة إلى ذلك، تعاني ترهاً في بنائها، ليس بسبب افتقارها إلى بنية ترتقي بالمذكرات من حقل المروية إلى حقل الفن فحسب، بل بسبب إلحاحها أيضاً على "الجوانب النظرية - الروحية لحياة الإنسان، بشكل يجعلها في

¹ أبو مطر، د. أحمد، نفس المرجع السابق، ص 51.

² وادي فاروق، ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية، ص 32.

³ أبو مطر، د. أحمد، مرجع السابق، ص 43.

محملها مجموعة نظريات¹ تبدو الدجاجة من خلالها "مفلسفة تدرس شؤون الاجتماع في كثير من التعمق وتدبر الرأي"،² من دون أن تفلح في تدبر ما يحدق بها وبأتراها من أخطار.

وفيما بعد رواية الحسيني شهدت سنوات ما قبل النكبة صدور ثلاث روايات فلسطينية. ففي سنة 1946م أصدر محمد العدناني رواية بعنوان: "في السرير"، عرض فيها لمسيرة المرض الذي لازم صدره لسنوات عشر. ولعلّ من أهم ما اتّسمت به تلك الرواية امتلاءها بالمصادفات، وبمفردات غريبة، واصطناعها أبياتاً شعرية تناسب الحدث، ثم غلبة المعلومات التي كانت تشغل الكاتب عن الاهتمام بالبناء الفني لعمله الذي يمكن وصفه بأنّه مذكرات شخصية أكثر منه رواية.

وفي سنة 1947م أصدر اسكندر الخوري رواية بعنوان: "في الصميم"، عالج فيها موضوعاً أثيراً لدى جماهير القراء في تلك المرحلة. وقد اتّسمت تلك الرواية بعدم تمكّن كاتبها من تحرير نصه من الإطار التقليدي الذي تناول تلك الموضوعات، بالإضافة إلى استرساله في الحديث عن عاطفة الحب، ليس بين الشاب والفتاة فحسب، بل بين عدد من الشخصيات التاريخية المعروفة أيضاً، وفي استرساله في النّقل عن كتب علم الاجتماع، وفي الاتّكاء على أقوال عدد من المشاهير، دون أي مسوغ فني، ولذلك كلّه بدا عمله "بحثاً له ملامح روائية، وليس رواية فنية خالصة".³

¹ أبو مطر، د. أحمد، مرجع السابق، ص36.

² مقدمة طه حسين للرواية .

³ نفس المرجع، ونفس الصفحة.

وفي السنة نفسها صدر للمؤرخ عارف العارف رواية بعنوان: "مرقص العميان" عرض فيها لسيرة شاب كفيف استطاع على الرغم مما كان يضطرم في حياته من شدائد ومشاق أن يحقق عدداً كبيراً من النجاحات، وأن يتغلب على عاهته الخلقية، وعلى الرغم من أن الرواية حملت بعضاً من خصائص التجارب التي سبقتها، فإنها أنجزت "تقدماً نسبياً في مجال تحقيق بلورة واضحة للبناء الفني في الرواية"¹، إذ استطاع الروائي تحرير محكيها من النوافل السردية من جهة، كما تمكن من تشييد بناء روائي له خصائصه المميزة من جهة ثانية.

وباستجلاء الروايات السابقة، وسواها مما صدر قبل النكبة، يمكن القول إن المشهد الروائي الفلسطيني حتى سنة 1947م لم يكن سوى محاولات سردية مبعثرة لم تستطع "أن تشكل إرثاً وجذراً تتنامى منهما المحاولات الروائية الفلسطينية في السنوات اللاحقة"²، بسبب عدم قدرة كتابها على الإمساك بأدوات الكتابة الروائية، وبسبب ابتعادهم عن معالجة الواقع الذي كان يواجه محاولات مسعورة لنفي الفلسطينيين خارج أرضهم، ولتشويه حقائق وجودهم التاريخي على هذه الأرض.

ولئن كانت الحكاية في الرواية المغلقة تكتفي بنفسها، ويشرح فيها كل شيء³، فإن غسان كنفاني تجنب ذلك تماماً، إذ جعل روايته "مشرعة، مفتوحة، غير مكتملة، وأبعد من أن تستدعي جواباً"⁴. وإذا كان

¹ أبو مطر، د. أحمد، مرجع سبق ذكره، ص 46.

² وادي فاروق، مرجع سبق ذكره، ص 33.

³ انظر: البيرية، ر.س. "تاريخ الرواية حديثة"، ص 255.

⁴ سويدان، سامي، أبحاث في النص الروائي العربي، ص 110.

ثمة من جواب قد حرضت على التفكير فيه، فليس سوى ذلك الطريق الذي يعيد الفلسطيني إلى أرضه، طريق المقاومة الذي يخلصه من الانشغال بـ "أناه" إلى الوطن: الرحم، الأصل، والجذور.

الفصل الأول :

القضية الفلسطينية في الرواية العربية

المبحث الأول: مراحل تسريد القضية في الرواية العربية

المبحث الثاني: ابعاد القضية الفلسطينية في الرواية العربية

ألهبت قضية فلسطين، منذ بداية الصراع مع الحركة الصهيونية، مشاعر العرب على اختلاف انتماءاتهم القطرية. وليس أدل على ذلك من أن المرء يجد في تاريخ الثورات الفلسطينية "السوري والمصري والعراقي والمغربي واليميني كتفاً إلى كتف الفلسطيني في معركتهم المصيرية الواحدة.

وقد بلغت تلك المشاعر ذروة تعبيرها الأدبي في مرحلة الخمسينيات التي "سادت فيها المسألة الفلسطينية بحيث غدّها الأدب العربي أدباً فلسطينياً إلى حد ما"¹. ولعلّه من المهم الإشارة هنا إلى أن تأثير القضية بالنسبة إلى أدباء الأقطار العربية المحيطة بفلسطين كان أشد كثافة وغنى من تأثيرها بالنسبة إلى أدباء الأقطار العربية الأخرى²، وإلى أن كتاب سورية كانوا أسبق من غيرهم من الكتاب العرب في التنبيه إلى المخاطر التي كانت تحدق بالقطر الفلسطيني، وفي تعرية دعوى الحق التاريخي لأبناء الديانة اليهودية في أرض فلسطين³.

ولئن كان الشعر أكثر فنون ذلك الأدب تفاعلاً مع القضية حتّى نهاية الخمسينيات تقريباً، فإن الرواية العربية سرعان ما أبدت اهتماماً بها، وسرعان ما وجدت فيها أيضاً وسيلة للتعبير عن إحساس المثقفين العرب عامة بضياغ جزء غالٍ ومقدس من الأرض العربية، ولهجاء الواقع العربي بتجلياته كافة، وإلى حد يمكن القول معه "إنه ما من قطر عربي إلّا وقد شارك برواية أو أكثر في هذا المجال"⁴. وقد تجلّى ذلك

¹ عبود، حنا، النزوات الكبرى ومعالم الأدب العربي بعد الحرب العالمية الثانية، ص21.

² اليايى- نعيم، التطور الفني لشكل القصة القصيرة في الأدب الشامي الحديث، ص304.

³ الدقاق- عمر، تاريخ الأدب الحديث في سورية، ص65.

⁴ عبد الله -محمد حسن، الريف في الرواية العربية، ص247.

الاهتمام عبر مظهرين: أولهما مثّلت القضية معه ومن خلاله متناً في المحكي الروائي، وثانيهما بدت القضية فيه ومن خلاله مكوناً من مكونات هذا المحكي .

ومهما يكن صحيحاً أن ثمة تبايناً بين كتابات الروائيين العرب عن القضية وكتابات الروائيين الفلسطينيين، وأن الكاتب العربي كان "يكتب من منطلق التعاطف والمشاركة، وأن فلسطين لم تكن بالنسبة إليه سوى "شيء مجرد، قضية أو مشكلة. أما الكاتب الفلسطيني فإنّه يصور القضية من خلال الناس، المجتمع، الحياة اليومية، فإن الأكثر صحة هو أن هذه السمة التي تميز الرواية العربية في هذا المجال تمتد لتشمل عدداً غير قليل من المنجز الروائي الفلسطيني نفسه. فكما ثمة نتاج روائي عربي تبدو القضية فيه مشكلة فحسب ثمة في هذا المنجز أعمال روائية واهية الصلة بالقضية، كأعمال عوني مصطفى وباسم سرحان وسمير القطب، التي تبدو فلسطين فيها مجرد حاضنة للأحداث والشخصيات ليس غير.

وعامة، فإن معظم النتاج الروائي العربي الذي عني بقضية فلسطين يتسم بخصائص تكاد تكون واحدة في الأغلب الأعم منه، من أبرزها حضور القضية فيه بسبب حضورها في الوجدان العربي، وربما بسبب العزف على الوتر نفسه الذي ضرب عليه الكثير من الروائيين العرب، ثم نحول أدواته الفنية، وقصور الوعي لدى كتّابه بالواقع. فمن بين الأعمال الروائية العربية الواحدة والخمسين التي صدرت ما بين النكبة والهزيمة "لم يرتفع إلى مستوى القضية الفلسطينية، أو ما يمكن أن نسميه برواية القضية الفلسطينية إلاّ ما

يقرب من خمس هذا العدد¹، كما لم يستطع سوى القليل منه تقديم رؤية واضحة للواقع العربي الذي أدى إلى الهزيمة².

ولئن كانت رواية اللبناني جورج حنا: "لاجئة"، 1952م أول رواية عربية تتناول قضية فلسطين، فإنه لمن اللافت للنظر أن النتاج الروائي العربي المعني بالقضية نفسها، الذي تلا هذه الرواية، لا يعكس أطراً في الكم يتناسب والسنوات التالية لصدورها حتى الهزيمة الحيرانية، وأطراً أيضاً في وعي الأسباب التي أدت إلى هذه الهزيمة.

ومهما يكن من أمر الدور الذي نهضت به هزيمة حزيران في خلخلة البنى المكونة للمجتمع العربي، ومن أمر المواقف المتباينة بين النقاد العرب حول هذا الدور وأهميته، فإن الرواية العربية المعنية بقضية فلسطين، التي تلت الهزيمة، استطاعت أن تحقق نقله واضحة على المستويين الكمي والنوعي، ولم تعد الوفرة في الكم وقفاً على الروائيين العرب الذي ينتمون إلى الأقطار المجاورة لفلسطين، كما استطاعت، بأن، أن "تقدم تنوعاً في العوالم الروائية وتعددًا في الرؤى"³ لحركة الواقع العربي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المحتوى الإنساني للقضية، ولا سيما بعد هزيمة حزيران، دفع عدداً من كتاب الرواية في أكثر من جزء من الجغرافية الإنسانية إلى التفاعل مع الموضوع الفلسطيني، داخل الأرض المحتلة وفي الأقطار العربية المجاورة لها، في أعمال روائية متفاوتة فيما بينها على المستوى الفني، تُرجم بعضها إلى

¹ أبو إصبع -صالح، مرجع سابق، ص19.

² ماضي -شكري عزيز، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، ص39.

³ ماضي -شكري عزيز، مرجع سبق ذكره، ص13.

العربية ولا يزال بعضها الآخر طي اللغة التي كُتِبَ بها. وقد اتّسمت تلك الأعمال جميعاً بسمتين رئيسيتين: المعاشية الواقعية لمبدعيها للنضال الوطني الفلسطيني، وصدورها عن طرف فحسب من طرفي الجنس البشري، المرأة .

وتُعد الإنكليزية "الثيل ما نين" في طليعة هؤلاء الروائيين العالميين، بل لعلّها أقدمهم أيضاً، فقد خصت القضية بثلاث روايات: "الطريق إلى بئر السبع"، و"الفدائي"، و"الليل والعودة". تناولت، في الأولى، مأساة النزوح الفلسطيني عشية النكبة، وفي الأخيرتين انطلاقة الثورة الفلسطينية المسلّحة. كما كتبت الأمريكية "فبداهاات نبكي" رواية بعنوان: "أمل لا يموت"، صورت فيها حنين الفلسطيني المشرّد إلى أرضه، وأمله في العودة إليها.

أما النتاج الروائي العربي الذي عني بالقضية الفلسطينية، ولاسيما ما يتصل بالظاهرة، والذي ينصرف هذا الجزء من الدراسة إليه، فسأكتفي بالتمثيل له بثلاثة نصوص، ينتمي كتابها إلى أكثر من قطر عربي، وترجع بين أكثر من اتجاه فني.

ويمكن التوقّف بداية عند رواية السوري حليم بركات: " ستة أيام " 1961م التي تنتمي إلى الرواية الرمزية الخالصة¹، والتي تستمد سميتها تلك من اتكاء الرمز فيها على عنصرين رئيسيين: المكان والإنسان. تتحرك أحداث الرواية في بلد متخيل اسمه "دير البحر"، غارق في "الخوف والفقر والجهل والتناحر والفوضى والتكالب"، وسكّانه مجموعة من البشر هم "حصيلة التعنّن في التاريخ". يبوّتهم

¹ أبو اصبع -صالح، مرجع سبق ذكره ، ص129.

متراكمة تحجب عن نفسها نور الشمس، منقسمون على أنفسهم، حياتهم ممتلئة "بالعفن والأصنام، والوجوه المبتسمة بفراغ، والبطون المندلقة إلى الأمام، والرؤوس المقبوضة بالخرافة والوهم".

ويتلخص السؤال الرئيس الذي تطرحه الرواية في كيفية مواجهة هؤلاء السكّان لتهديد العدو الذي يطلب إليهم اختيار واحد من أمرين في مهلة لا تتجاوز أسبوعاً: إما الاستسلام له ومغادرة البلد، أو الهلاك.

في اليوم الأول، يتصل سهيل، الشخصية الرئيسة، وصديقه عبد الجليل بدولة شقيقة مجاورة لطلب العون منها. وفي الثاني، يشتبك عدد من الشباب العائدين من المغارة التي تسلّموا فيها الأسلحة من تلك الدولة مع العدو فيفقدون تسعة شهداء. وفي الثالث تشيع القرية شهداءها التسعة وهي أكثر إصراراً على التحدي. وفي الرابع، يقوم عدد من المتحمسين بإحراق بيوت الفارين من لقاء العدو وفي الخامس، يعتقل الأعداء سهيلاً بعد وشاية من صديقه عبد الجليل. وقبل يوم من انتهاء المهمة المحددة يهاجمون البلد، فيتصدى لهم السكّان ببسالة منقطعة النظير.

والرواية لا تؤكد الحس الفطري لارتباط الإنسان بأرضه من خلال سهيل وأصدقائه فحسب، بل أيضاً من خلال مجموعة من الشخصيات الأخرى التي يؤكد أكثرها: "لم يعد لنا غير التحدي، لم يعد لنا غير الموت.. قد لا نتصر في هذه المعركة، ولكننا نترك لأبنائنا أسطورة". فأبو فريد، المقعد، يقول لابنه: "الن أترك البيت. هل تفضل أن أموت دون مقاومة"، ثم يوصيه: "أطلب منك شيئاً واحداً، لا تهرب". وخالد لا يبكي صديقه لأنه استشهد، بل "لأنه سبقني إلى الشهادة". وعلى الرغم من أن أم عامر تمنع، في البداية، في اشتراك ابنها الوحيد في مواجهة الأعداء، فإنها تباركه في النهاية.

ولئن كانت الرواية، وقت صدورها، نذيراً غريباً بهزيمة حزيران¹، وتمكّنت من استشراف الواقع العربي وآفاقه آنذاك، وتوسلت لذلك بالرمز، بل بمجموعة من الرموز، فإن هذه الأخيرة لا تبدو بدائل لأفكار الروائي، أو مقولاته، أو تجاربه الذاتية²، وليست أيضاً "حالة افتراضية تجريدية"³.

بل هي أكثر ما تكون التصاقاً بالواقع، لأنها لا تعلق دلالاتها في مطلق تنوهم، بل تتبادل هذا الواقع وتعبر عنه في آن. وشخصيات الرواية، عامة، تتسم بتنوعها وغناها، ومع أن شخصية سهيل "تستقطب في قلقها وتطلّعها إلى أرض الحقيقة التي تستقر فوقها حركة الرواية"⁴، إلا أن ذلك لا يعني ضمور سواها من الشخصيات التي تبدو، على امتداد الرواية، نماذج يحيل كل منها إلى رمز إنساني في المرحلة التي ترصدها، فشخصية سهيل تمثل المثقف العربي وتمزقه بين الواقع والطموح، بين الكائن والممكن، بين المحبة والأنانية، بين اليأس والأمل، والرواية برمتها تحمل من خلال هذه الشخصية بعداً وجودياً.⁵

لكنّها، على الرغم من تلك الشائيات المتضادة التي تؤججها داخلها، تؤكّد أن ثمة هاجساً يستبد بها، هاجس الدفاع عن أرض دير البحر: "هذه أرضنا.. فيها نجوع ونشبع. فيها نعيش على هامش الوجود وفيها يمكن أن نعيش في قلب الوجود"، ولذلك فإن أفعالها لا تعني انتماء للمجتمع الذي تعيش فيه، بل

¹ النساج -سيد حامد، بانوراما الرواية العربية الحديثة، ص201. ومن اللافت للنظر: عبد الكريم الأشتر، في كتابه تعريف بالنثر العربي الحديث، ص263، ينقل عن النساج، ويكتفي بتعديل اسم الشهر بـ "يونيو" الوارد لدى النساج باسم "حزيران".

² انظر: الأشتر -عبد الكريم، تعريف بالنثر العربي الحديث، ص272.

³ الخطيب -محمد كامل، الرواية والواقع، ص57.

⁴ الأشتر -عبد الكريم، نفس المرجع السابق، ص273.

⁵ الفيومي -إبراهيم حسين، الواقعية في الرواية الحديثة في بلاد الشام، ص102.

انتماء للأرض التي يعني ضياعها، بالنسبة إليها، مزيداً من ضياع إنسانها. وإذا سلّم المرء بأن تلك الشخصية رمز للعقل الثوري الذي يحرك ض على المواجهة ويعد لها¹، فإن شخصية فريد تمثل الفعل الثوري في أقصى تجلياته قداسة، كما يمثل انتماءها إلى دير البحر انتماء كاملاً يجمع طرفي المعادلة بأن:

الأرض

والناس.

وعلى النقيض من هاتين الشخصيتين، سهيل وفريد، تبدو شخصيتا عبد الجليل ولياء. الأولى تمثل الزيف الثوري، والثانية تمثل الشخصية الروبية المشغولة بأناسها، فبعد الجليل الذي كان يردد دائماً: "أحب أن أموت في سبيل دير البحر. سأخوض المعركة بكل دمي" لا يرعوى عن سرقة ثمن الأسلحة التي جمعها أهل الدير، والهرب بعد أن وشى بصديقه سهيل للأعداء. ولياء، لا تعود إلى بلدها من لندن حيث تقيم بدافع الشوق إليه، بل للحصول على ميراث أبيها الذي سيفارق الحياة بعد أيام كما تظن، وبذلك تبدو نموذجاً فريداً للتحلل من الجذر، الوطن والأهل.

وعامة، فإن معظم الشخصيات يتحرك في زمان ومكان محددين، وإذا كان هذا التحديد شراً أكثر منه ضرورة في العمل الروائي²، فإن الروائي يتجاوز ذلك بتقويضه الفواصل القائمة بينهما من جهة، والقائمة داخل كلٍ منهما من جهة ثانية، وييدي كفاءة واضحة في شد جميع خيوط الرواية "نحو نقطة

¹ أبو اصبع -صالح، مرجع سبق ذكره، ص160.

² انظر: البرين -جون، نظرية الرواية، ص133.

واحدة، وفي وصل شخصياتها بحدث رئيسي.. ومن ثم فإن التفصيلات لوجود لها، والأوصاف السطحية الخارجية معدومة".¹

والمعمار الفني الذي يحقق ألقه على امتداد حركة السرد في الرواية، واللغة الشاعرية الحارة التي لم يفقدها المجاز والتشبيهات معنى نثرية الواقع، ثم الأفكار التي تمكّنت من الإفصاح عن نفسها عبر ما هو فني/جمالي، تدفع إلى القول إن "سنة أيام" واحدة من أهم الأعمال الروائية العربية التي عنيت بقضية فلسطين، بل لعلّها أرفع تلك الأعمال على المستويين: الفكري والفني .

ومن الأعمال الروائية التي تنتمي إلى الاتجاه الرومانسي رواية المصري فتحي سلامة: "المزامير" ، 1986م التي تغطّي قطاعاً زمانياً طويلاً نسبياً من التاريخ الفلسطيني الحديث، يمتد ما بين بدايات الاستيطان الصهيوني وهزيمة حزيران، ولذلك فهي تقدم ثلاثة أجيال يمثل كلّ منها مرحلة محددة من ذلك التاريخ. وهي تُعنى، بشكل رئيس، بتصوير المرحلة الممتدة ما بين النكبة والهزيمة، أي المرحلة التي يمثلها الجيل الفلسطيني الثاني، بلال في الرواية، وتعرض للجيلين الآخرين، الجيل الذي سبق بلالاً والجيل الذي تلاه، بإشارات سريعة بوصفهما استكمالاً للدائرة التي تشكّل حركة النضال الوطني الفلسطيني.²

كان بلال قد شهد وهو طفل في قريته القريبة من يافا طلائع الهجرات الصهيونية الاستيطانية في أرض فلسطين، أسرة راشيل العرجاء في الرواية، التي أقامت في طرف المدينة تصنع السلال في البداية ثم امتلكت متجراً لبيع الحلوى والخمور، وانضم إليها، فيما بعد، مستوطنون جدد "تاجروا في أشياء كثيرة،

¹ النساج -سيد حامد، مرجع سبق ذكره، ص101.

² د/نضال صالح، مرجع سبق ذكره، ص44-45.

منها ما يباع همساً، لا نسمعه نحن الصغار، وسرعان ما أصبحوا أغنياء يملكون بيارة وسيارة وخمارة"، ثم استثمروا كالسرطان في أرض فلسطين كلّها، وأخذوا يطردون أهلها العرب تحت رصاصهم الذي كان يحصد، دون تمييز، الكثير من الأطفال والنساء والعجائز، ويلقي بمن نجا منهم إلى الجوع والعطش، والبحث عن مأوى يقويه غائلة التشرد والحرمان، وفي غزة، التي يهاجر إليها مع أخته بعد نجاحهما من رصاص المستوطنين الصهاينة وفقدتهما والديهما، يتعرف إلى فاطمة الفتاة المشردة مثله.

وعلى الرغم من أن الأخيرة كانت قد حاولت ثنيه عن السفر إلى القاهرة للدراسة في الأزهر، فإنه يدعها وأخته وحيدتين ويسافرن. وفي طريقه إلى مصر، يتعرف في مدينة الإسماعيلية إلى رجال المقاومة الشعبية الذين كانوا يتصدون للعدوان الثلاثي سنة 1956م وعندما يصاب "عم برعي"، سائق سيارة الترموين، يأخذ بلال مكانه إلى أن يجرح في إحدى المعارك، فيعود إلى غزة ليجد أخته وفاطمة قد تزوجتا. ولم تحمد تلك المفاجأة رغبته المتأججة في متابعة طريق الكفاح الذي آمن به سبيلاً وحيداً لتحرير أرضه، ولذلك يطلب إلى صديقه "برهان" الذي تعرف إليه في الإسماعيلية الحضور إلى غزة لإشعال فتيل المقاومة فيها. وبعد أن يصل برهان، ويونس ابن قرية بلال الذي التقاه الأخير، مصادفة، في أحد مقاهي غزة وتبدأ المجموعة عملها الكفاحي، يصاب بلال بجرح جديد فيعود إلى المخيم ليجد أن زوج أخته قد توفي، حتى تقضي أخته أيضاً في غارة صهيونية وثمة أمانة معلقة في شفيتها: "انتقم يا بلال، السلاح وابني." وسرعان ما يقع أسيراً في قبضة الصهاينة الذين اقتحموا المدينة بعد أن بترت ذراعه خلال مواجهتهم. وعندما يقضي على حارسه في السجن ويستولي على سلاحه ولباسه يفر هارباً. وفي طريقه

إلى الضقة الغربية يصاب في فخذه خلال عبوره الحدود، فيسعه رجال إحدى القرى وينقلونه إلى إربد في الأردن. ومنها يسافر إلى القاهرة، ثم إلى غزة ليلتقي حبيبته فاطمة التي كانت قد فقدت زوجها في عدوان، 1956م ابن أخته الذي رعته بعد وفاة أمه.¹

وعلى الرغم من أنه يتزوجها وتلد له طفلاً، وينصرف إلى العمل بعضاً من الوقت، فإن شوقه الجارف إلى متابعة الكفاح يدفعه إلى تقديم طلب للانضمام إلى صفوف جيش التحرير الفلسطيني، غير أن طلبه يلقي معارضة القيادة، ولذلك يندفع بنفسه إلى الاشتراك في مواجهة العدوان الجديد سنة 1967م إلى أن يقضي شهيداً.

كان بلال يرهن حياته كلها من أجل عودته إلى قريته التي اقتلعت منها، وكان يعي تماماً أن هذه العودة لن تتحقق "إلا بمعركة مصيرية ضارية بيننا وبينهم، نخوضها في بحور الدم". وتتجلى خصائص الاتجاه الرومانسي في الرواية من خلال هذه الشخصية خاصة، كالفروسية، والمشاعر النفسية الدفّاقة، ثم الخيال الجامح الذي يبدو منبث الصلة بجذوره الواقعية، وأخيراً الفرد في أعلى درجات تمثيله لمعنى الفردية. ولعلّه غير خاف أن تلك الصفات تتقاطع مع شخصية بلال مؤذن الرسول، الذي يمثل في التراث العربي أقصى حالات الفرد صموداً على الشدائد وعلى تحمل المشاق دفاعاً عن القضية التي آمن بها.²

والرواية، عامة، وثيقة الصلة بتقاليد السرد المحكوم بمنطق التراتبية الزمنية، وإذا كان صحيحاً أن اللغة الشعرية في العمل الروائي تنظّم وتشد مصادر اللغة اليومية، وتنتهكها أحياناً في سعيها إلى وضع القارئ

¹ د/نضال صالح، مرجع سبق ذكره، ص45-46.

² د/نضال صالح، مرجع سبق ذكره، ص46.

قسراً في حالة من الوعي والانتباه، فإن هذه اللغة في "المزامير" لا تبدو كذلك، بل تقف على النقيض من تلك السمات، لأنها تضع قارئها في مواجهة استرسالاً بلاغية متكلفة يتم إنطاق الشخصيات بها، وعلى نحو لا يتسق وتسوياتها المعرفية.

ومن الأعمال الروائية العربية التي عنيت بالقضية، والتي تنتمي إلى الاتجاه الواقعي، بل الواقعي المؤسر على نحو أدق، رواية أديب نحوي "عرس فلسطيني"، 1970م التي يصدرها الروائي بالمجبوس التالي، الذي يضع القارئ في مواجهة سؤالين معاً: المعنى الكامن وراء زواج فهد البصراوي على الطريقة الببغاوية، ومعناه على الطريقة الخيمية، اللذين يشكّلان محكي الرواية من جهة، وأطروحتها المركزية من جهة ثانية: "الليلة عرس فهد البصراوي. أبوه النمر. وأصل عائلتهم من جبل البصة، على مسافة يوم واحد من المشي عن عكا الشريفة.. كتبوا كتابه على فاطمة بنت ضيعته منذ سنتين، وكانا مخطوبين لبعضيهما قبل ذلك بسنوات. والليلة، بعد أن ظلّ الفهد يعاند ويكابر ولا يقبل أن يتزوج. يزوجونه في حفلة عرس دقاقة رثانة.. قالوا لأن الفهد قد استأذن.. بطريقة بصاوي، بعد أن ظلّ يرفض الزواج على الصورة القديمة الخيمية." تتحرك أحداث الرواية في مخيم فلسطيني يشبه مخيمات اللاجئين جميعاً. بيوتُه من صفيح صدئ، تتلاصق "كأثما متآخية في بؤس الغربة"، رجاله يسحبون الآه من أظافر أقدامهم "بالفطرة ودون صنعة، بعشرين سنة من العذاب" قضوها بعيداً عن أرضهم. تشتت النّسوة فيه "من زمان، أن يزغردن من القلب مرة واحدة في العمر"، وأطفاله تعلّموا الركض على يدي السيل الذي يدهمه بين وقت وآخر.

وتتحدد الإجابة عن السؤالين المشار إليهما آنفاً بأن "الأصل.. أن يتزوج البصراوي في البصة. فإن تزوج في مخيم اللاجئين، فلا أقلّ من أن يكون ذلك حسب الأصول والعادات المعروفة في الجبل. وأهمها، أن يستأذن. فإن إذن والد العروس دليل على رضاه. فبذلك تكون العروس قد خرجت من عند أهلها وهي مرتاحة¹.

كان فهد أقسم برأس فاطمة ألا يتزوج قبل أن يستأذن أباه الذي استشهد على أبواب قريته "البصة" في فلسطين، وقبل أن يعود من قبره بالعلامة التي تدلّ على رضاه. وقد بر الفهد بقسمه، فذهب ويده قطعة من ثوب فاطمة المقصوص الذي كانت ترتديه ليلة التهم السيل أمها، ولم تكن فاطمة قد تجاوزت الخامسة من عمرها آنذاك. وعندما أخبر الفهد أباه بوصوله إلى العلامة المدفونة على بعد مترين، يساراً، من قبر أبي فاطمة كما قالت عمّة الأخيرة، استعد المخيم لاستقباله وأقام طقوس الفرح لإتمام زفافه، وذهبت فاطمة بثوب عرسها إلى قبر أمها لتستأذن هي الأخرى أيضاً: "الليلة، يا أماء عرسي من فهد ابن ضيعتنا. وقد وُكّلت أن يذهب إلى أبي ليخبره، ويستأذنه. فمن شدة ما يحبني، فإنه ذهب.

فهل إنك يا أمي كذلك، تأذنين؟ فتفكّين أصابعك عن ذيل ثوبي، لأعرف أنك راضية عن زواجي به؟"، أما "فهد" فيعود إلى المخيم محملاً على نعش ويده بندقية أبي فاطمة، العلامة التي وجدها مدفونة إلى جوار قبره.

¹ د/نضال صالح، مرجع سبق ذكره، ص 46-47

وغير خاف أن ما تود الرواية الانتهاء إليه هو أن البندقية هي المنارة الوحيدة التي تضيء لفلسطيني الشتات طريق عودتهم إلى الأرض التي اقتلعوا منها، وهي بهذا المعنى الذي تحاول تعزيزه لدى القارئ، وعلى امتداد حركة السرد فيها، تؤكد أن انبثاق المقاومة قد تم من رحم الطبقة الفلسطينية الكادحة، التي كانت أكثر فئات المجتمع الفلسطيني اكتواء بنار النكبة، وبلعنة الغربة عن الأرض.¹

والرواية، وهي تصور حنين الفلسطيني المشرّد إلى أرض وطنه، وتعبّر عن هذا الحنين بلغة شائقة، موحية، تستجمع لنفسها سحر الواقع ودهشة الأسطورة، وتستمد ألقها من تلك الطبيعة الآسرة التي تميز أرض فلسطين، والتي تبدو حاضرة في عناصر الرواية جميعاً، السرد والحوار والوصف: "كل بحر البصة، وكلّ الوادي واسعين، عميقين. وشبايبك الببلاويين من فوقهما على قمة الجبل، مطّلة، مفتوحة للفجر، تستقبل عناق الموج وشعاع الشمس وعطر الزهر وخضرة الزيتون." يقول أهل البصة: "تصعد لعندنا، فترى البحر كلّ، تحت عينيك، أزرق.. أزرق.. هناك في أعلى الجبل، كانت بيوتنا. تسطع الشمس من الشّرق، فمن أين تمر وهي في طريقها إلى البحر؟ من شبايك بيوتنا تمر. فلو أغلقناها، لحجبنا الشمس عن المراكب في قلب البحر. ينزل الغيم من عند الرب، فمن أين يحمل مطره؟ من كرومنا على قمة الجبل، ومن يياراتنا يتزود غيم الرب". لقد كانت الأرض، بالنسبة إليهم، المعنى الحقيقي الذي يشكّل وجودهم في الحياة، ولذلك كانوا يرون أن الدنيا من دون هذه الأرض "لا تساوي حتّى أن يلقي عليها الإنسان

¹ د/نضال صالح، مرجع سبق ذكره، ص 47-48.

مجرد نظره". ومن فرط حبهم لها وشغفهم بها، رفعوا علم وطنهم خلال الاحتفال بعرس فهد على رأس عمود ووضعوها تحته خارطة فلسطين.

ولعلّ أبرز ما يميز المبنى الحكائين في الرواية إحكامه وتماسكه، وتقويضه لخطية الزمن، فالروائي يضع قارئه في مواجهة المفصل الرئيس الذي يحرك أحداث محكيه، لكنّه لا يقدم له هذه الأحداث، بعد ذلك، كما تتابع في الواقع، بل يعيد تشكيلها على نحوٍ يوفّر لها عنصر التشويق من جهة، ويكسر الحدود الفاصلة بين الأمكنة والأزمنة فيها من جهة ثانية.

وعلى الرغم من أن ثمة تبايناً كبيراً بين زمنيها الواقعي والتخيلي، فإن هذا التباين لا يبدو نافراً في حركة السرد، لأن الشكل الفني الذي استخدمه الروائي في صوغه لتلك الحركة استطاع أن يقلّص الفجوة القائمة بين الزمنين، وقد مكنته من ذلك تقنيتان: تعدد ضمائر الخطاب، وتقنية المشهد المسرحي والشخصيات عامة تتسم بأنها "واقعية على نحو معين، وليست واقعية على نحو آخر"، بمعنى ترجحها بين مستويين: واقعي وأسطوري. بسبب تداخلها مع غيرها من مكونات المحكي الروائي، ولاسيما الطبيعة التي تمثّل حاضناً لما هو أسطوري عادة. إن أسطره الواقع سمة شديدة الوضوح في الرواية، فالكاتب يستنهض فهداً من موته ليحدث عروسه فاطمة، ويدع السيل الذي يلتهم المخيم يعبر بنفسه عن قسوته وجبروته، وهو، بالإضافة إلى ذلك، يصور الطبيعة الفلسطينية وكأنّها جزء من عالم أسطوري، شديد الصلة بما هو أسر، ومدهش، وخلاق.

وبهذا المعنى أيضاً، ومن خلال استجلاء المنجز الروائي الفلسطيني من بداياته إلى مطلع الثمانينيات، يخلص المرء إلى أنه على الرغم من حفاوة ذلك المنجز بقضية الصراع مع الحركة الصهيونية، فإن قضية الأرض لم تشغل مكانة مميزة فيه بالمعنى الذي يجعل منها ظاهرة قبل انطلاقة الكفاح المسلح، سنة 1965م كما يخلص إلى أن ثمة خصائص اتسمت رواية ما بعد الانطلاقة عامة في هذا المجال، يمكن إيجازها فيما يلي:

١. تناولت تلك الرواية معظم مراحل التاريخ الفلسطيني، منذ الألف السابع قبل الميلاد حتى النصف الثاني من سبعينيات القرن الماضي، وتوقفت بشيء من التوسع عند المفاصل الكبرى التي كانت تحدد حركة هذا التاريخ وتشكل مساره، وعني أكثرها بالحديث عن المرحلة الممتدة ما بين قرار التقسيم والنكبة.

٢. غطت معظم الجغرافية الفلسطينية، من نهر الأردن شرقاً إلى ساحل المتوسط غرباً، ومن أقصى الشمال الفلسطيني إلى أقصى الجنوب.

٣. أدانت سلطات الانتداب البريطاني التي مكّنت الحركة الصهيونية من ابتلاع أرض فلسطين، والإقطاعيين الذين باعوا مساحات واسعة وخصبة من هذه الأرض إلى المستوطنين الصهاينة والمنظمات والجمعيات الصهيونية التي أنشئت لهذا الغرض، ثم الدور الذي قام به الوسطاء في عمليات انتقال ملكية تلك الأراضي إلى هؤلاء، ولم يكن هذا الوسيط لديها يهودياً دائماً، بل هو عربي في بعض الأحيان.

٤. على الرغم من أن أكثرها ألقى أسباب النكبة وقيام "الدولة" على القيادات السياسية العربية آنذاك، وعلى جيوش الإنقاذ على نحوٍ خاص، فإن عدداً منها ألقى تلك الأسباب على الفلسطينيين أنفسهم، قيادة وشعباً.

المبحث الثاني: ابعاد القضية الفلسطينية في الرواية العربية

إن أبعاد القضية الفلسطينية في الرواية العربية تتنوع وتعدد، وتشمل مجموعة من الجوانب والمفاهيم التي يتناولها الكتاب العرب في أعمالهم الأدبية. إليك بعض هذه الأبعاد:

1. **الهوية والانتماء:** تعكس الروايات الفلسطينية معاناة الشعب الفلسطيني في البحث عن هويتهم المفقودة أو المهددة بالضيق بسبب التهجير والاحتلال. تسلط الضوء على العلاقة العميقة بين الأرض والهوية وكيف يتأثر الشعب الفلسطيني بفقدان أراضيهم وتاريخهم. تسلط الروايات الضوء على الصراع الداخلي في هوية الفلسطينيين وبحثهم عن الانتماء والهوية في ظل الاحتلال والهجرة والتشرد.
2. **المعاناة والصمود:** تظهر الروايات الفلسطينية المعاناة اليومية للفلسطينيين تحت الاحتلال، بما في ذلك الهدم، والاعتقالات، والعزل، والقمع. يبرز الصمود والتحدي والقدرة على البقاء قوياً رغم كل الصعوبات كمكون أساسي للشخصيات والمجتمعات الفلسطينية.
3. **المقاومة والتضحية:** تسلط الروايات الضوء على جهود المقاومة الفلسطينية وتضحيات الفلسطينيين في سبيل الحرية والعدالة. تظهر الروايات التضحيات الفردية والجماعية للمقاومين وتقديرهم لقيم الحرية والكرامة.

4. العلاقات الإنسانية: تركز الروايات على العلاقات الإنسانية بين الفلسطينيين وبين بعضهم البعض ومع الآخرين من خلال الصداقة، والحب، والأسرة، والمجتمع. تسلط الضوء على قوة الروابط الإنسانية في مواجهة الصعوبات والتحديات.

5. الأمل والمستقبل: تعكس الروايات الفلسطينية الأمل في تحقيق الحرية والعدالة وإنهاء الاحتلال. تركز على الآمال والأحلام المستقبلية للشعب الفلسطيني وترسم صورة مشرقة لمستقبل يكون فيه السلام والاستقرار جزءاً أساسياً من حياتهم.

تجمع هذه الأبعاد معاً لتشكيل لوحة شاملة لتجربة الشعب الفلسطيني وقضيتهم كما تُرى وتُحكى في الرواية العربية.

القضية الفلسطينية تشكل محوراً مهماً في الأدب العربي، وتتنوع أبعادها في الرواية العربية بطرق متعددة، مما يعكس التنوع الثقافي والتاريخي لهذه القضية الهامة. تتنوع هذه الأبعاد بين المعاناة الإنسانية، حيث تسلط الضوء على تجارب الأفراد والعائلات الفلسطينية ومعاناتهم اليومية تحت الاحتلال، والصراع السياسي، الذي يتناول التطورات السياسية والصراعات الداخلية والخارجية التي تؤثر على مسار القضية الفلسطينية وعلى حياة الفلسطينيين. كما تتضمن أبعاد أخرى مثل الهوية والانتماء، حيث تسلط الضوء على الصراع الداخلي في هوية الفلسطينيين وبحثهم عن الانتماء والهوية في ظل الاحتلال والهجرة والتشرد. ولا يمكن نسيان أبعاد المقاومة والتضحية، حيث تعكس الروايات جهود المقاومة الفلسطينية والتضحيات التي يقدمها الفلسطينيون في سبيل الحرية والعدالة. وفي غمرة هذه الأبعاد، تبرز الرواية العربية تطلعات

المستقبل والأمل في إنهاء الاحتلال وتحقيق الحرية والعدالة للشعب الفلسطيني، مما يمنح القارئ فهماً عميقاً لتجربة الشعب الفلسطيني وتأثير القضية الفلسطينية على حياتهم وهويتهم.

بالطبع، تتضمن القضية الفلسطينية في الرواية العربية عدة جوانب متشعبة تعكس تنوع التجارب والمشاعر للشعب الفلسطيني. تركز بعض الروايات على المعاناة الإنسانية، حيث تقدم صوراً واقعية لحياة الفلسطينيين تحت الاحتلال والهجرة والتشرد، مما يجعل القارئ يتعاطف مع تجاربهم ويفهم تأثير الظروف الصعبة على حياتهم اليومية. بينما تركز أخرى على العنصر السياسي والصراعات السياسية التي تحيط بالقضية الفلسطينية، مما يعكس التحولات والتطورات في الساحة السياسية وتأثيرها على الحياة الفلسطينية. من جهة أخرى، تتناول الروايات العربية الهوية والانتماء للشعب الفلسطيني، مع التركيز على الصراع الداخلي في هويتهم والبحث عن الهوية في ظل الظروف القاسية التي يعيشونها. ومن المهم أيضاً أن نذكر الجانب الثقافي والاجتماعي، حيث تبرز بعض الروايات العربية الثقافة والتراث الفلسطيني ودورها في تعزيز الهوية والتماسك الاجتماعي للمجتمع الفلسطيني. وفي النهاية، تعكس الرواية العربية في جميع جوانبها تطلعات الشعب الفلسطيني للحرية والعدالة، وتظهر الأمل في مستقبل أفضل يحقق حقوقهم ويعيد لهم كرامتهم وحريتهم المسلوبة.

الفصل الثاني: فلسطين في رواية زمن

الخيول البيضاء لصنع الله ابراهيم.

المبحث الأول: بنية الشخصيات في الرواية.

المبحث الثاني: الآخر اليهودي.

المبحث الأول: بنية الشخصيات في الرواية.

اتخذ الكاتب من المعطيات التاريخية مصدراً للسرد الروائي، موظفاً حلقات تاريخية مفصلة في مسار الشعب الفلسطيني، من دون أن ينحو إلى "تأريخ" هذا المسار. فالروائي - كما يقول نقاد الرواية التاريخية، لا يؤرخ، بل يخلق شخصيات متخيلة لا تتطابق مرجعياً مع الشخصيات التاريخية، وإن الكاتب أورد أسماءً ومواقف لشخصيات فلسطينية وعربية حقيقية مثل عز الدين القسام، ونجيب نصار، و خليل السكاكيني، وعبد الرحيم الحاج محمد، وفوزي القوقى، وهي أسماء ترد في سياقات ذات مغزى، كما أن ذلك يشير بشكل واضح إلى رغبة الكاتب في تخليد أسماء ذات قيمة وطنية وقومية، وتخليد أخرى في الموقع النقيض¹.

على أن الشخصيات الفنية التي تقوم عليها أركان الرواية إنما هي شخصيات متخيلة تماماً وفي إطار نسيج فني تخيلي يجمع هذه الشخصيات المتباينة في أنماطها وأدوارها ومواقفها واستجاباتها، ففيها الشخصية الفاعلة الايجابية، وفيها المترددة، وهناك الصامت المتفجع، وهناك البطل القائد، والإنسان العادي، فيها الصادق والكاذب والانتهازي، والعميل الخائن، إذ يلعب التخييل دوراً كبيراً في تصوير هذه النماذج، بعيداً عن هالة التقديس، وهذا ما يجعل الرواية قادرة على إيهام القارئ بصدقية العمل. بل إن نصر الله

¹ رياض كامل، الرواية الفلسطينية - النكبة وصدمة جيلي الطفولة والشيخوخة، دار منبر حر للثقافة والفكر والأدب

، 22 جويلية 2023، مرجع الكتروني (<https://www.diwanalarab.com/>)

أوضح في ملاحظات سبقت النص الروائي أن حكاية "الدير" مع قرية "الهادية" هي حكاية حقيقية من أولها إلى آخرها، ويضيف مؤكداً "إنها حكاية قريتي"¹.

وتأتي رواية "زمن الخيول" الصادرة حديثاً (2007) للروائي إبراهيم نصر الله لتفتح كوى جديدة على طفولة لها صورة أخرى ونكهة أخرى، لأنها تحمل نظرة فلسفية إلى الحياة أكبر من نظرة الطفل المعتادة إلى مأساة الفقد والتشتت.

وتطرق أبواباً جديدة ومتعددة يهمننا منها، في هذا الصدد، أن نشير إلى أطفال الجيل الثاني للنكبة الذين يرفضون الاستسلام للواقع الأليم، رغم معاصرتهم نكسة 1967، فزاهم يبحثون عن ذاتهم وعن كنه هذه الذات التي تسعى إلى التمرد على الهزائم، فيبدو وكأنّ النصر الذي جلبته معركة الكرامة (21 آذار 1968) كان الضوء الذي أشعل زوايا كان يمكن أن تكون مظلمة وحالكة السواد بعد صدمتي النكبة والنكسة، وكانت قمة الرمزية في تنفيذ الطفل خطته، ببناء "مطار" في قطعة من الأرض قريبة من المخيم تصلح للطيران دون عوائق، يخلق منها كل يوم إلى سماء إحدى الحواضر العربية والأجنبية².

كما يؤمن هذا الطفل بقدرته على اختراق الواقع المر، عبر بوابة الشعر وكتابة الرسائل ليفتح كوة أخرى على الحياة. أما علاقته بالفتاة التي أحب منذ سن مبكرة فهي بحد ذاتها كوة أخرى وفكرة أخرى ورسالة

¹ رياض كامل، مرجع نفسه.

² حديدي، صبحي، "باب الشمس: الحكاية التاريخية، والرواية الفلسطينية الكبرى"، الكرمل، العدد 58، شتاء 1999، ص 7-

أخرى تبين أن الفلسطيني قادر على أن يحب، وله الحق في أن يحب، وأن يكون مقاتلاً، في آن معا. كانت علاقة الفتى والفتاة إشارة إلى قدرة الفلسطيني على اجتراح المعجزات وعلى بناء حياة جديدة فيها العلم والدراسة وفيها الموسيقى والرسم والشعر والأدب، وفيها دور هام ولافت للفتاة كمقاتلة أيضاً، رغم صغر سنّها. وفيها الطموح إلى خلق واقع جديد لا يشبه واقع الهزائم المتكررة. بنى الطفل مطاره وحدّد الاتجاهات الأربعة، ليقلع منه كل يوم إلى مدينة جديدة، فشاركته الطفلة نور في أحلامه، بل كانت شريكاً فعالاً وقوياً لا مجرد شريك مشجّع، فهي الأخرى تطمح في اكتشاف عالم جديد لا يشبه ما كان. يخترق هذان الطفلان وبعض أترابهما وأصدقائهما كل العوائق، ويكفرون بالجمود والتحرّج¹.

جاءت الرواية لتبين أن النكبة التي فرّقت وشتّتت وأفقرت شعباً كاملاً، لم تتمكّن من لجم طموح الجيل الثاني للنكبة، وفتحت كوة واسعة للنور كي يضيء المستقبل مهما كان قاسياً، وأنّ المخيمات لن تكون عائقاً في وجه الطموح الفلسطيني، ولا حجر عثرة في وجه الانطلاق نحو عالم أفضل. كان الأطفال جميعهم سندا لبعضهم، فاخترقوا حاجز الفقر وتمكنوا، في جيل المراهقة، من اكتشاف عالم أوسع من عالم المخيم ووصلوا المكتبة العامة واستعاروا منها الكتب ليحلّقوا أبعد من هذا العالم الضيق. ورغم تشعب أحداث الرواية إلا أن نصر الله، بلفتة ذكية، ربط بين الجيل الثالث والجيل الأول، ولم يكتف بما تعلّمه الطفل من والديه، وبالذات من أمه، فكان الجدّ مصدر إلهام من خلال ما يحمل من تراث شعبي

¹ نظر: القاضي، محمد، "الرواية والتاريخ"، فصول، المجلد 16، عدد 4، ربيع 1998، ص 42.

فلسطيني محكي يحث سامعه على التزود بهذا الرصيد الذي يعكس وجع الناس كل الناس الفلسطينيين، فكان وقودا يشحن الصغار، كما يشحن الكبار¹.

نوهت الدراسة التي قدمت الى مؤتمر أدب الأطفال الذي نظمته وكالة الغوث في نابلس بأن شخصية الطفل شهدت حضوراً في بعض الروايات الفلسطينية الصادرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، مع اختلاف في حجم هذا الظهور وطبيعته، فقد ظهرت شخصية الطفل الطالب في الروايات الفلسطينية ظهورا محدودا، وتناولت روايات قليلة نضالات الطلاب وحياتهم، وذلك على الرغم من مشاركة الطلاب في صنع الاحداث بصورة فعالة، فقد كان الطلاب يخرجون من مدارسهم وهم يهتفون بالشعارات الوطنية وحين يشعر الطلاب بوجود احد المطاردين في مدرستهم ينظرون اليه باعتزاز وفخر في حين يقوم بعض الطلاب بمعاقبته وتقبيله. حيث ظهرت الصورة السابقة للطفل الفلسطيني بكثير من الإشراق والايجابية في رواية أشجان لجمال القواسمي. فالأطفال في هذه الرواية يحملون على كواهلهم واجب الدفاع عن الوطن والتصدي لقوات الاحتلال.²

طبيعة تناول الفني لشخصية الطفل في الرواية الفلسطينية "زمن الخيول" لنصر الله ابراهيم لم يكن بسيطا، فتناول شخصية الطفل وذلك ببذل الجهد الكافي والتعمق في دراسة شخصيته، والقيام بإطلاالات مقنعة

¹ نظر: القاضي، محمد، مرجع سابق، ص43

² الكلي، عبد السلام. الزمن الروائي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992، ص25.

على حياته، ورصد المؤثرات المختلفة ايجابيا أو سلبيا على هذه الشخصية، اعتمد على السرد التقريري والخطابية المباشرة أثناء تناولها لشخصية الطفل، فكانت موفق في وضع الطفل في المكانة المناسبة له¹.

صورة المرأة:

نالت المرأة أهمية كبيرة في العمل الروائي باعتبارها معلما أساسيا لا يمكن الكتابة بمعزل عنه، ما مرت به المرأة في المجتمع الذكوري وما نتج عنه من إحجاف في حصولها على حقوقها، وما تعرضت له من أذى نفسي وجسدي جعل الكتاب يتجهون إلى التعبير عن هذه الصور في كتاباتهم في محاولة منهم لرفع الظلم والأذى عن النساء، "قسوة المجتمع الذكوري على المرأة انعكست على الأدب، فأخذت مجموعة من الأدباء والأديبات بالكتابة عن هموم المرأة وما تتعرض له من أذى جسدي ونفسي وهنا نستذكر رواية المطلقة للروائي جميل الحلوة و رواية توليب للروائية خلود نزال وغيرها²

كما حظيت المرأة اهتمام الكتاب في المجتمع الفلسطيني، فقد عملوا على إبراز صورة المرأة ومواقفها ومواقعها من المجتمع الفلسطيني، وما قدمته من أدوار مهمة في بناء المجتمع وتماسكه والحفاظ على الأسرة وتربيتها ومساعدة زوجها، لم يعد الرجل المحور الوجودي، وإنما نشطت المرأة لتشارك في تحقيق الوجود بعد أن أصبحت عاملة لها دورها الاقتصادي الذي أتاح لها حرية الحركة والتفاعل الاجتماعي، كما أشار الكتاب إلى الواقع الجسيم والمعاناة التي مرت بها المرأة الفلسطينية، وذلك في محاولة للكشف عن العنف

¹ الكلي، عبد السلام، مرجع سابق، ص 26.

² رواية أنثى، ديانا الشناوي، وزارة الثقافة الفلسطينية، فلسطين، 2001، مرجع الكتروني: www.ahewar.org

والاضطهاد والقهر والقلق الذي يمارس في حق المرأة، عمل الكتاب على إبراز صورة المرأة الإيجابية والسلبية في كتاباتهم حيث "ظلت صورة المرأة في الرواية العربية تتراوح بين نموذجين سادا ثقافتنا العربية مدة ليست قصيرة، نموذج مثالي حسن يصور المرأة عاشقة مناضلة وأما رؤوما، وقد تؤول الصورة حيناً لتصبح المرأة رمزا يحيل للوطن أو للفضاء الخصب، أما النموذج الثاني السلبي والصادر من رحم نظرة سلبية متوارثة فإنه يبرز نموذج المرأة الجسد التي تظهر في إطار من الإغراء والانحلال والسلبية، أو تظهر في مدارات من التبعية والانقياد لصالح السلطة الذكورية المتغطرة.¹

تنظر الرواية العربية إلى المرأة بوصفها فاعلة متعلمة عاملة شريكة الرجل في الحياة بعدما كان المجتمع العربي يمتك المرأة ويهضم حقوقها دون أدنى رافة "إن المرأة العربية في الغالب هي المرأة المقهورة السلبية الخاضعة للهيمنة الذكورية، فهي بالمعتاد تابعة ومتلقية ومقموعة، القمع يتراوح بين العادات والتقاليد، ظروف المجتمع وأنماطه في التعامل...²

في ملحمة "زمن الخيول البيضاء"، تلعب الأنثى دور البطولة ولكن هذه المرة من خلال أنثى الحصان، فالمهرة "الحمامة" رائعة الحُسن، هي التي تخطف قلب خالد بطل الرواية، لدرجة تقبيل حوافرها. والتي يؤدي اختطافها إلى بداية ثورة خالد وقريته "الهادية" ضد المستعمر الإنجليزي، وتظهر المرأة -في هذه

¹ غادة خليل، صورة المرأة في الرواية النسائية في بلاد الشام 1951، 2000، الجامعة الأردنية، الأردن، 2004م، ص 169.

² عدنان هماسي، نهاد باكير، المرأة عند جبرا إبراهيم جبرا، البحث عن وليد مسعود-السفينة أنموذج، جامعة طهران، ص 4.

الرواية-رفيقة للرجل في الحقل وحب الأرض، والصمود والبسالة، فترسل زوجها وولدها إلى الجهاد ضد المستعمر، وترجوه أن يعود منتصرًا أو شهيدًا؛ فالفلسطينية لا ترتضي بنقاط المنتصف.

يسرد نصر الله مشهدًا بين أم، وولدها الذي فرّ من جبهة القتال:¹

- “-ما الذي تفعله يا أمين يا اللي بتقول إنك ابني؟
- - خلاص تعبت وهذه هي البارودة، ليأخذها أي شخص يستطيع الاستفادة منها أكثر.
- - وهل تعتقد أن حيلة كهذه ستمر علي، أنت جاسوس لا بد، ولم تحضر البندقية التي تتحدث عنها إلا لأن الإنجليز معك.
- -ولكنني أمين، والله إنني لأمين ابنك الفار.
- -ليس لي ولد اسمه أمين، أمين ابني الذي أعرفه لا يمكن أن يترك الرجال في الجبال تقاتل وتموت كي يعيش هو في حضن أمه”.²

"أحبّ خالدٌ "أمل" حبًّا حسدًا عليها النساء واستهجنه الرجال، فقّدها مرّتين، مرّة عندما أقسم ثلاثًا " عليّ الطلاق إنّها أجمل من الشمس ومن القمر". وبعد أن استعادها بذكاء الشيخ ناصر العلي، فقّدها إلى الأبد عندما استبدلت ثلاث بيضاتٍ بحفني قطينٍ أكلتها فماتت وجنينها..

¹ نصر الله، إبراهيم: زمن الخيول البيضاء "رواية"، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط2، 2007، ص35-39.

² نصر الله، إبراهيم: زمن الخيول البيضاء"، مصدر سابق، ص39.

استعاض عنها خالد بحبه للفرس البيضاء "فضة" التي أتهم مسروقة ضائعة فغنى الحاج محمود¹:

"إذا ما الخيل ضيعها أناس حميها فأشركت العيالان

نفاستها المعيشة كل يوم ونكسوها البراقع والجلال"

لكن أهل الفرس "فضة" سرعان ما وجدوها، ففقد حبه ثلاث سنوات وكاد يفقد حياته حتى خرجت له

من الحلم فرساً أصيلة، هي ابنتها التي أسماها "الحمامة"، رمز الحرية والانطلاق والسلام والحياة فأصبحت

"الحمامة حبيبته وأمه وأخته ورفيقته في تشرده ومقاومته للأتراك والانجليز والمستوطنين.

ثنائية الحب والهجر تُخرجك من المعاني العادية لتحوّل "أمل وفضة" المفقودتين لواحد، وتحوّلان معاً رمزاً

لفلسطين التي فقدت أملها وحرّيتها".²

لقد حاول إبراهيم نصر الله إدخال صيرورة التأثيرات الأنثوية في تقنية السرد، فأطال في إضافة مسحة

جمالية واسعة في سفر التراث الفلسطيني وتأثير الرغبات الأنثوية في تحريك أحداث الجمود، بعكس فعالية

الأنثى لدى الشعوب الأخرى، ففي الإلياذة مثلاً أثارت الرغبات الأنثوية الحروب، فاشتعلت الحرب

الإغريقية بين الطروادتين واليونانين، فكان من جماليات ملحمة الإلياذة التي ألفها الشاعر الإغريقي

هوميروس، أن المرأة والجمال هما المحرك للرجال الشجعان لتحمل مسؤولية المرحلة، ولسوء حظ

¹ مرجع نفسه، ص 40.

² أبو- سنان. الجليل الغربي، دراسة في رواية "زمن الخيول البيضاء" للكاتب الشاعر: إبراهيم نصر الله، دنيا الوطن للنشر،

2008/03/22. (مرجع الكتروني: <https://pulpit.alwatanvoice.com/>)

الفلسطينيين إن المرأة لم تكن في المكان الذي استحقته لدى الشعوب الأخرى، فلم نجد في فلسطين امرأة مثل الملكة بلقيس التي لبّت دعوة سليمان، وذهبت له بنفسها حاملة معها الهدايا الثمينة وأقرت بحكمه وحكمته وتزوجته ووحدت المملكتين، وأطفأت نيران الحرب، وحقنت الدماء، ولا الزباء (زنوبة) التي قادت حرب التحرير والتمرد على الحكم الروماني، ولا جان دارك التي حركت حرب التحرير الفرنسية، رغم صغر عمرها، ثم اتهمت بالهرطقة وأعدمت سنة 1431 م¹.

رواية نصر الله تقع في أكثر من 500 صفحة، وهي مؤهلة لتتسع لكل هذا الزخم والأحداث والتناقضات والملهيات التي أراد الكاتب عرضها، مع أن كثيراً مما احتوته كان مسكوتاً عنه وما زال، لكن هذه المساحة الواسعة التي خلقها المؤلف لدليل على الضيق الذي كان يحس به وطوال فترة طويلة، ولا ننسى أن إبراهيم نصر الله أديب عريق مجدّد، فلجأ إلى أساليب متعددة وبأصوات كثيرة، ليوحي للقارئ بالقيم العامة السائدة والتي أراد إبرازها أو تضخيمها، لتتفاعل تحركات الشخصيات وحياتهم بحرية مع بعضها بعضاً، فأصبح المنظور الأيديولوجي أبعد ما يكون عن التحديد، بل يعتمد على الفهم الغريزي للقارئ (يقول وبنسكي إن علينا النظر إلى العمل الأدبي ككائن له استقلاله عن مؤلفه، فينسب المنظور الأيديولوجي إلى العمل نفسه لا إلى مؤلفه، سواء وافقه في الواقع أو خالفه)، وهنا تظهر مهارة الكاتب وإخلاصه لعمله في إتقان الدور الذي اختار القيام به.²

¹ انظر: القصاروي، مها، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004، ص72-73.

² أبو— سنان. الجليل الغربي، مرجع سابق. مرجع الكتروني

المبحث الثاني: الآخر اليهودي.

دأب كثير من الكتاب والشعراء والروائيين على تقديم صورة سلبية لليهود، حافلة بكل النقائص والمثالب، فاليهودي بخيل، قذر، حاقد، منافق، دموي، غادر، غارق في البس، عبد للمال، لا يعرف القيم ولا المبادئ ولا الأخلاق، انتهازي يطوع كل شيء من أجل تحقيق مصالحه، وإشباع شهواته، وقد سادت هذه الصورة في الآداب العالمية كلها وفي الأدب العربي كذلك، وزاد في قبح في الرواية العربية ذلك الصراع مع الحركة الصهيونية والاحتلال الإسرائيلي لأرض فلسطين، فبدت الصورة قائمة أشد القتامة في روايات القرن العشرين¹.

ويضيف محمد متولي أن أغل الروايات العربية التي صدرت عن اليهود منذ مطلع القرن الحادي والعشرين، فترت فيها هذه الروح وتغيرت الصورة شيئاً فشيئاً، فخفت الحديث عن الصراع العربي الصهيوني، وتجه، الروائيون إلى الحديث عن اليهود الشرقيين في البلدان العربية، وأخذت صورة اليهود الشرقي عندهم تقترب تدريجياً مما يمكن أن نطلق عليه "اليهودي النبيل"².

¹ خولة حمدي، ردود القراء على (أثنى عبرية) بين التعدي اللفظي والاحترام، www.masrakarabia.com تاريخ:

2015/10/13.

² محمد سيد أحمد متولي، صورة اليهود في الرواية العربية المعاصرة، رؤية سردية مغايرة، رسالة المشرق، دار العلو، جامعة القاهرة-مصر، ص64-65.

وبداية التحول لصورة اليهودي في الإنتاج الروائي العربي كان بداية عام 2003م، العام الذي وقع فيه الاحتلال الأمريكي للعراق، بكل ما صاحبه من تغيرات في العالم العربي كله، وهو كذلك العام الذي بدأ فيه ظهور كثير من الأعمال الروائية التي كتبت بحد أحداث 11 ديسمبر 2001.

ولا يخفى أن تحديد الدراسة لهذا العام (2003م)، واتخاذها بداية لهذا التحول لليهود في الرواية العربية لا يعني الفصل الزمني الحاسم، فالحكم بميلاد اتجاه أدبي أو فكري يحتمل قدرا كبيرا من المرونة وهو حكم نسبي إلى حد كبير، ولكنه أمر لا بد منه عند محاولة الضبط والتحديد.¹

وقد ألقت روايات عديدة ترصد التغيير في صورة اليهود في الرواية العربية بعامة، في هذه الحقبة المعاصرة قامت بالكشف عن السمات الجديدة المغايرة لهذه الشخصية، وهذه الروايات هي: "عاشقان من بلاد الرافدين لجاسم المطير، و"اليهودي الأخير" لعبد الجبار ناصر من العراق، و"يوميات يهودي من دمشق" لإبراهيم الجبين من سوريا، و"اليهودي البالي" لعلي المقري من اليمن .

غير أن هذه الدراسات جميعا على كثرتها واختلافها تقد بحكم سياقها الزمني، الصورة السلبية التقليدية لليهود، ورواية زمن الخيول لنصر الله إبراهيم، حيث قدم شخصية اليهودية في صور المستغل والمستبد وظالم والمجرم المتسلط على الأراضي الفلسطينية وما يقوم به من جرائم ضد أهلي هذه الأرض المباركة، حيث نشهده في روايته قائلا: "حين أطل الصباح كان المشهد مرعباً، ويُذكر بتلك الليلة السوداء التي

¹ جميلة قادري، إيمان مجدل، تحليلات الخطاب الديني في رواية "في قلبي أنثى عبرية" لخولة حمدي، إشراف: د. حكيمة بشلاط، مذكره مقدمة لنيل شهادة الماستر، تخص: أدب عربي حديث ومعاصر، جامعة المسيلة-الجزائر، 2017م، ص 34-35.

بوغت فيها القرية، القتلى في كل مكان، وفي الملاجئ عشرات الجثث التي مزقتها القنابل التي ألقيت داخلها، الملاجئ التي تحولت إلى قبور حقيقية، بحيث لم يكن على الناس فيما بعد سوى أن يقوموا بإغلاق أبوابها بعد وضع المزيد من الجثث داخلها¹.

في الباب الثاني في الرواية فقد تحدث عن اوضاع البلاد في بداية عهد الانتداب البريطاني ، هذا الانتداب الذي سهل الهجرة اليهودية الى فلسطين، تمهيدا لإقامة دولة اسرائيل تنفيذا لوعده بلفور المشؤوم ، ولم يكتف البريطانيون بذلك ، بل إنهم سمحوا للعصابات الصهيونية بالتدرب على السلاح وحمله ، في حين كانوا يعدمون الفلسطيني على رصاصة فارغة أو على سكين ، كما ان البريطانيين سلموا كافة معسكراتهم وأسلحتهم للعصابات الصهيونية- بما فيها من اسلحة ثقيلة كالدبابات ومدافع الميدان وحتى الطائرات الحربية - ليلة انسحابهم من فلسطين، ويلاحظ القارئ لهذا الباب ان البريطانيين اعتمدوا في بسط سيطرتهم على بعض المتنفيذين وجلّهم من الذين كانوا متعاونين مع الأتراك لتنفيذ الاعتداءات والمظالم التي وقعت على الشعب الفلسطيني ، كما ان بعضهم كان من الاقطاعيين واصحاب المصالح المالية.²

كما ان الكاتب طرح بطريقة ذكية وبفنية عالية ،دون مباشرة ودون خطابية، ان الكفاح الفلسطيني تركز في هذه المرحلة على مقاومة وطرد المستعمرين البريطانيين ، مع انه كان هناك الوعي الكافي لمخاطر الهجرة

¹ انظر: حليفي، شعيب، "المتخيل والمرجع: سيرورة الحكايات"، فصول، العدد 66، ربيع 2005، ص237.

² جميل السلوة، الملهاة الفلسطينية "زمن الخيول البيضاء" ملحمة النكبة رابطة أدباء الشام، 2008،

jamilsalhut@yahoo.com.

اليهودية ، وللأهداف الصهيونية في فلسطين والمنطقة ، وقد رأينا في أكثر من مشهد كيف ان المقاومين الفلسطينيين لم يقتلوا أسراهم من اليهود الأصليين في هذه البلاد ، والذين كانت علاقاتهم أخوية مع الفلسطينيين العرب المسلمين والمسيحيين ، ففلسطين مهد الديانات السماوية ، وبلد التعدديات الثقافية ، وقد استشعر الفلسطينيون كما اليهود من اصل فلسطيني ان الشرور مصدرها اليهود المهاجرون من اوروبا ، كما تطرق الكاتب الى ان المستوطنين اليهود قد استولوا على أراض فلسطينية شاسعة بالخداع ، وبدعم وحماية من المستعمرين البريطانيين¹.

تؤرخ الرواية للدور العربي الرسمي في حرب 1948 ممثلاً بجيوش الإنقاذ العربية، إذ تجلّى دورها في حفر الخندق حول قرية الهادية لحمايتها، وبعد ذلك وقعت الهدنة. فاعتبر الخندق حدوداً للمستعمرة اليهودية الواقعة بجانب الهادية لحمايتها. كما تجلّى دورها في جمع السلاح من السكان، ثم الانسحاب ليلاً من قرية الهادية، وترك سكانها فريسة سهلة بيد اليهود، فعلى إثر الانسحاب يتسلل اليهود للقرية -السكان مطمئنون لوجود جيش الإنقاذ-، ويقومون بقتل عدد كبير من النساء والأطفال والشيوخ والرجال والشباب بالسواطير والسكاكين والبلطات (ليلة المجزرة)². وهي بذلك إنما تستعيد أطوار الهزيمة من خلال تصويرها لأحد المنعطفات التاريخية الكبرى والهامة في تاريخ العرب الحديث، وهو اغتصاب فلسطين وضياعها وقيام الدولة الصهيونية. ولكن الرواية لا تكتفي بذلك، بل تؤرخ من خلال الوقائع والأحداث

¹ جميل السلوة، مرجع نفسه.

الممتدة في نسيج الرواية للدور الفلسطيني تجاه الشخصية اليهودية، " أنا لا أقاتل كي أنتصر بل كي لا يضيع حقي. لم يحدث أبداً أن ظلّت أمة منتصرة إلى الأبد. أنا أخاف شيئاً واحداً: أن ننكسر إلى الأبد، لأن الذي ينكسر إلى الأبد لا يمكن أن ينهض ثانية، قل لهم احرصوا على ألا تُهزموا إلى الأبد". وأيضاً: "إذا خسر اليهود فإنهم سيعودون إلى البلاد التي أتوا منها، أما إذا خسروا نحن، فسنخسر كل شيء". "ذات يوم سأرسمكم كلكم، سأرسم الأحياء والشهداء، وأقيم معرضاً أطوف به مدن فلسطين كلها، ذات يوم، حيث لا يكون هنا إنجليز ولا مستعمرون يهود"¹.

إن صفة " اليهودي " أو " اليهودية " لم تعد تعبر عن الانتماء العرقي والهوية والقومية، والطبيعة الشخصية والسمات النفسية المشتركة لمن يعتنقون هذا الدين؛ فبعد كل هذه المئات من السنين التاريخية الشاذة وكل هذه الأحداث التي عاشها اليهود ليست ديننا ولكنها شخصية تتغل على شخصية أخرى يمكن أن ينتشب إليها اليهودي².

فاليهودي هو أولاً يهودي وبعد ذلك يمكن أن يكون أي شيء آخر كأن يكون يهودياً فرنسياً، أو يهودياً أمريكياً، أو يهودياً روسيا ... ومهما تنقل من جنسية إلى جنسية فهو أولاً يهودي، وكذلك لو تنقل من دين إلى دين، فلو اعتنق المسيحية فهو يهودي مسيحي ... ولو اعتنق البوذية فهو يهودي بوذي؛ فالهجرة

¹ مرجع نفسه، 314.

² حكيمة بشلاق، تمثيلات الشخصية وتحليلات الخطاب اليهودي في رواية "في قلبي أنصت عبرية" لحولة حمدي، مجلة القارئ للدراسات الادبية والنقدية واللغوية، المجلد 4، العدد 4، ديسمبر 2021، ص 134.

من دين إلى دين كالهجرة من بلد إلى بلد، ويبقى المهاجر فيها محتفظاً بشخصية، ومحافظاً على تقاليده

مهما عاش في بلد المهجر.¹

¹ محمد سيد أحمد متولي، صورة اليهود...، مرجع سابع 65.

خاتمة

بعد مسيرة لهذا البحث حول القضية الفلسطينية في زمن الخيول البيضاء لإبراهيم نصر الله ، توصلنا الى

النتائج التالية :

يتبين بوضوح أن رواية "زمن الخيول البيضاء" تعتبر لوحة فنية تجسد ببراعة وجدان الشعب الفلسطيني

وصموده في وجه التحديات التي يواجهها يوميًا. من خلال أسلوبها الشعاري والجذاب.

تنقل الرواية تجربة الشعب الفلسطيني وتاريخه العريق بطريقة تلامس القلوب وترسم صورة واقعية للصراع

والأمل في العيش بكرامة وحرية.

إن الأدب يمكن أن يكون جسرًا يربط بين الشعوب والثقافات، ويساهم في تعزيز التفاهم والتضامن

الإنساني.

فعبر رواية "زمن الخيول البيضاء"، نجد أنفسنا نستشعر قوة الروح والإرادة لدى الشعب الفلسطيني،

ونفهم أن القضية الفلسطينية ليست مجرد صراع على الأرض، بل هي صراع من أجل الكرامة والعدالة

وحقوق الإنسان.

يظل من الضروري أن نتذكر دائمًا أن وراء كل صراع هناك قصة إنسانية، وأن الأدب يمكن أن يلقي

الضوء على هذه القصص ويساهم في تعزيز الوعي والتضامن الإنساني.

رواية تؤرخ بموضوعية عن طريق راوٍ محايد خارجي كلي ، كما تتم عن قدرة الروائي على تمثّل المكونات التاريخية الواردة في الرواية، وتحويلها إلى مكونات أدبية تخيلية

قائمة المصادر و المراجع

القواميس والمعاجم:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ط1، بيروت، 1990، (مادة روى).
 2. إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، مجلة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004.
- كتب:

1. أبو مطر، د. أحمد، الرواية في الأدب الفلسطيني.
2. البرين، جون، نظرية الرواية، ص133.
3. الخطيب، محمد كامل، الرواية والواقع، ص57.
4. الفيومي، إبراهيم حسين، الواقعية في الرواية الحديثة في بلاد الشام، ص102.
5. الكلي، عبد السلام، الزمن الروائي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992.
6. النساج، سيد حامد، بانوراما الرواية العربية الحديثة، ص201.
7. ياغي، عبد الرحمن، في الأدب الفلسطيني الحديث.

مذكرات:

1. جميلة قادري، إيمان مجدل، تجليات الخطاب الديني في رواية "في قلبي أنثى عبرية" لخولة حمدي، إشراف: د. حكيمة بشلايك، مذكورة.
2. مقدمة لنيل شهادة الماستر، تخص: أدب عربي حديث ومعاصر، جامعة المسيلة-الجزائر، 2017م، ص34-35.

رسائل التخرج:

1. إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، دراسة بنية الشكل، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، 2002.
2. محمد سيد أحمد متولي، صورة اليهود في الرواية العربية المعاصرة، رؤية سردية مغايرة، رسالة المشرق، دار العلوم، جامعة القاهرة-مصر.

مواقع الإنترنت:

1. أبو سنان، الجليل الغربي، دراسة في رواية "زمن الخيول البيضاء" للكاتب الشاعر: إبراهيم نصر الله، دنيا الوطن للنشر، 2008/03/22. (مرجع الكتروني: <https://pulpit.alwatanvoice.com>)
2. خولة حمدي، ردود القراء على (أنثى عبرية) بين التعدي اللفظي والاحترام، www.masrakarabia.com، تاريخ: 2015/10/13.

3. رواية أنثى، ديانا الشناوي، وزارة الثقافة الفلسطينية، فلسطين، 2001، مرجع الكتروني: www.ahewar.org.
4. رياض كامل، الرواية الفلسطينية – النكبة وصدمة جيلي الطفولة والشيخوخة، دار منبر حر للثقافة والفكر والأدب، 22 يوليو 2023، مرجع الكتروني (<https://www.diwanalarab.com>)
- مراجع أجنبية:
1. البيرية، ر.س. "تاريخ الرواية الحديثة"، ص255.
2. كولدمان وآخرون، الرواية والواقع، ترجمة: رشيد بن جدو، دار قرطبة للنشر، ط1، 1988.
- مراجع أخرى:
1. الأشتر، عبد الكريم، تعريف بالنشر العربي الحديث.
2. حديدي، صبحي، "باب الشمس: الحكاية التاريخية، والرواية الفلسطينية الكبرى"، الكرمل، العدد 58، شتاء 1999، ص7-8.
3. حكيمة بشلاق، تمثيلات الشخصية وتحليلات الخطاب اليهودي في رواية "في قلبي أنثى عبرية" لخولة حمدي، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد 4، العدد 4، ديسمبر 2021، ص134.
4. د. نضال صالح، نشيد الزيتون – قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية – دراسة –، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.
5. ديانا الشناوي، وزارة الثقافة الفلسطينية، فلسطين، 2001، مرجع الكتروني: www.ahewar.org.
6. سامي سويدان، أبحاث في النص الروائي العربي.
7. سيد بحراوي، علم اجتماع الأدب، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1992، ص23.
8. صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، منشورات مخبر الأبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ص05.
9. صالح مفقودة، نشأة الرواية العربية في الجزائر، مجلة المخبر، عدد 14، 2011.
10. عبد الرزاق حسين، فن النشر المتجدد، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1998.
11. عبد الله، محمد حسن، الريف في الرواية العربية.
12. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، د ط، الكويت، 1998.
13. عبود، حنا، النزوات الكبرى ومعالم الأدب العربي بعد الحرب العالمية الثانية.
14. عدنان هماسي، نهاد باكير، المرأة عند جبرا إبراهيم جبرا، البحث عن وليد مسعود – السفينة أمودج، جامعة طهران.

15. عمار بن طوبال، الرواية الجزائرية المعاصرة ومحاولة تحديد منهجي، مجلة المثقف، عدد (14)، 2009.
16. غادة خليل، صورة المرأة في الرواية النسائية في بلاد الشام 1951-2000، الجامعة الأردنية، الأردن، 2004.
17. ماضي، شكري عزيز، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية.
18. مزين محمد عبد الله وأمم: تحريشي محمد، حداثا مفهوم المكان في الرواية العربية، رواية " وراء السرب قليلا" لإبراهيم درغوئي أنموذج، مجلة الدراسات، جامعة طاهري محمد بشار، يونيو 2016.
19. مقدمة طه حسين للرواية.
20. نصر الله، إبراهيم: زمن الخيول البيضاء، مصدر سابق، ص 39.
21. القاضي، محمد، "الرواية والتاريخ"، فصول، المجلد 16، العدد 4، ربيع 1998.
22. وادي فاروق، ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية.
23. اليافي، نعيم، التطور الفني لشكل القصة القصيرة في الأدب الشامي الحديث.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير.....	-
اهداء.....	-
إهداء.....	-
مقدمة.....	أ-ب
مدخل الى الدراسة.....	6
1-تعريف الرواية:.....	7
ب- اصطلاحا:.....	8
2_ تطور الرواية العربية:.....	14
3_ نشأة الرواية العربية الفلسطينية:.....	18
الفصل الأول: " القضية الفلسطينية في الرواية العربية.....	25
المبحث الأول: مراحل تسريد القضية في الرواية العربية.....	25
المبحث الثاني: ابعاد القضية الفلسطينية في الرواية العربية.....	41
الفصل الثاني: فلسطين في رواية زمن الخيول البيضاء لصنع الله ابراهيم.....	44
المبحث الأول: بنية الشخصيات في الرواية.....	45
المبحث الثاني: الاخر اليهودي.....	54
خاتمة.....	60
قائمة المصادر و المراجع.....	63
فهرس المحتويات.....	67